

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية
تصدرها شبكة الأزهر

في كل شهر عربي
ماعدا شهر ذي القعدة وذو الحجة

الجزء العاشر	٤٩	شوال سنة ١٣٦٣	المجلد الخامس عشر
--------------	----	---------------	-------------------

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فتحي حجازي

الإدارة	الاشتراكات عمدة
ميدان الأزهر	داخل القطر ... ٢٠٠
تليفون : ٨٤٣٣٢	لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ... ١٠٠
الرسائل تكون باسم مدير المجلة	خارج القطر ... ٣٠٠

نمن الجزء الواحد ٢٠ ملبا داخل القطر و ٣٠ خارجه

(مطبعة الأزهر - ١٩٤٥)

فهرس

الجزء العاشر - المجلد الخامس عشر

الموضوع	الصفحة
الدروس الدينية - الدرس الثالث ...	٤٦٥
السيرة المحمدية ...	٤٧١
السنة - التماس رضا الله ...	٤٧٦
المشكلة الفلسفية العظمى ...	٤٧٩
المدخل إلى دراسة الفلسفة للإسلامية	٤٨٢
خالد بن الوليد ...	٤٨٥
الموجة الثالثة - التشيع ...	٤٨٨
بحوث في التصوف ...	٤٩٢
الامبراطور الفيلسوف ...	٤٩٥
النحت في كلام العرب ...	٤٩٨
بين الدين والفلسفة ...	٥٠٠
الرأى فى دراسة الادب ...	٥٠٣
الواقدى ...	٥٠٦
الفهرس العام للسنة الرابعة عشرة (١٣٦٢ هـ) من مجلة الازهر ...	٥٠٨

الدرس الديني

الدرس الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، والمعاقبة للمتقين .
من جاء بالحسنة فله خير منها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا
يعملون » .

عرضت الآيات الكريمة الساقية لقصة قارون وما كان من شأنه ؛ فبينت أن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وتكبر ، وأن الله آتاه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، وأنه كان بطراً فرحاً بما أوتي من مال وولد ، ناسياً حق الله لا يعترف بنعمته عليه ، معتقداً أنه أوتي ما أوتي من بسطة في المال والجاه بما كان عنده من علم ومن جد واجتهاد ، وأن قومه حاولوا أن يبينوا له طريق الرشاد فقالوا له لا تفرح فانه لا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن اليها ونسى الآخرة ونسى ما فيها ، أما من ذكر الآخرة وذكر المصير والمرد الى الله ، وذكر أن الدنيا قصيرة المدى وأن أمورها قلب لا تدوم على حال ، فمن يسر الى فقر ، ومن عز الى ذل ، ومن صحة الى مرض ، وهكذا دواليك ، من ذكر كل ذلك فانه لا يركن اليها ولا يفرح بها .

ونصح له قومه بأن يفعل الخير ، وأن يحسن الى العباد كما أحسن الله اليه ، وأن يبتغي الدار الآخرة فيما خول من نعمة ، وأن يستمتع من الدنيا بما أحله الله له ولا ينسى نصيبه منها .
قدم قوم قارون لقارون كل ما استطاعوا من موعظة ، وأسدوا اليه ما شاء الله من نصيحة ، ولكن القلوب إذا رين عليها لم تنفتح لموعظة ولم تستجب لنصح ، فقال قارون لقومه لقد نلت ما نلت بجدى وبما لدى من علم لم يقدر لغيري ، وكان اللائق بحاله إذ ادعى ما ادعى من العلم أن يذكر أن الله قد أهلك من قبله من القرون من كان أشد منه قوة وأكثر جمعا .

ثم قص الله علينا أن قارون خرج على قومه في زينته من خدم وحشم وأتباع وأعوان، ومن مظاهر الثراء التي تغرى ضعاف العقول وتفتن قصار النظر، فقال جمع ممن فتنوا بهذه المظاهر: ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم، وقال آخرون ممن يعلمون قيمة هذه المظاهر الخلابية، ويعرفون أنها برق خلب، وأن ما عند الله خير ثوابا وخير عقبا: ويلكم ثواب الله خير مما أوتي قارون وأبقى من كل ما ترون من مظاهر لا ينبغي أن يقيم لها عاقل وزنا.

ثم بينت الآية الكريمة أن ما كان عليه قارون من جاه وسلطان لم يغن عنه من بأس الله شيئا إذ جاءه، تخسف الله به وبداره الأرض، فما كان له من قبيل ينصرونه من دون الله، وما كان بعلمه، وما أوتي من جد وبصر، من المنتصرين، فأصبح الذين تمنوا مكانه بالآس وفتنوا به يقولون: لولا أن من الله علينا لخسف بنا إنه لا يفلح الكافرون، وإن ما ينعم الله به على الناس قدر مقدور، فلا الكرامة توجب البسط، ولا الهوان يوجب القبض، ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير.

قص الله علينا هذه القصة للعظة والاعتبار، ولنعلم أن الدنيا دار تحول وانتقال، كلها متاع الغرور، فما الجاه وسعة السلطان يراد قدر الله، ولا مانع من بأس الله، ولا بحائل دون عذاب الله، وقد خلت المثالات في الأمم، وتلك سنة الله ولن تجد لها تعديلا، وليست الدنيا بدار اطعمنان أو قرار، ولا يأمن فيها ولا يركن إليها إلا جاهل بأمرها غافل عن شأنها، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وقص الله علينا هذه القصة لنؤدى حق الله ونشكره فيما أعطى من نعمة، وأن نحسن إلى أنفسنا بالأعمال الصالحة، ونحسن إلى العباد، ولنعلم أن المعنى مرتعه وخيم، وأن للطغيان عاقبته المحتومة من زوال النعمة وحلول النقمة.

ثم جاءت هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا » بعدما ذكر الله من قصص قارون، وبعد ما بين من شأنه، وقد كان في قصته ذكر الدار الآخرة حين أسدى إليه قومه النصيح بأن يجعلها غاية وبغيته والمقصد الاسمى الذى يجب أن يجعله نصب عينيه في جميع أعماله، كما كان فيها ذكر الدنيا وأنها وسيلة للآخرة ومتاع يقصده ما أعد له من المنفعة، وأن الآخرة هي دار الثواب الذى أعده الله لمن آمن وعمل صالحا. جاءت تلك الآية الكريمة لتعظم من شأن تلك الدار وتنفخ من قدرها وتبين أنها أعدت لمن لا يريدون في الأرض علوا ولا فسادا، ولا ظلما ولا عدوانا، ولا بطرا ولا تسلطا، ولا يريدون تكبرا عن الحق وتجبيرا.

والعلو المقوت: العز والترف الذى يصحبه بغى وعدوان وتكبر وخيلاء. أما العلو الذى

يصحبه الاحسان والتواضع ويصحبه الكرم والمروءة فلا ياباه الدين . والفساد يشمل أنواع الشر جميعها ويجمعها مخالفة الله في أمره ومجاوزة الحدود .

قد جعل الله نعيم الدار الآخرة لمن لا يريدون في الأرض علوا ولا فسادا ، فربط الجزاء بعدم إرادة العلو والفساد ، ولم يربطه بالعلو والفساد نفسيهما مبالغة في طلب البعد عن العلو ، لأن الشخص إذا دار بخلفه أن مجرد إرادة العلو والفساد كاف في الطرد عن رحمة الله فانه يحذر العلو والفساد أشد الحذر ، ويحذر الوقوع فيهما ، بل ويحذر إرادتهما والقصد بهما .

ونظير هذا أن الله سبحانه لما حذر من الظلم ومعاشره الظالمين ، حذر من الركون اليهم وجعل الركون - بيانا في مسائل النار ، فقال « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » . وقد روى عن الفضيل أنه قرأ هذه الآية فقال : ذهبت الأمانى هاهنا ، وروى عن علي رضي الله عنه « إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه ، فيدخل في هذه الآية » .

وبعد أن ذكر الله عز وجل أن هذه الدار أعدت لمن صالح أمرهم فأحسنوا العمل ولم يريدوا في هذه الدار علوا ولا فسادا ، ختمت الآية الكريمة بقوله « والعاقبة للمتقين » ، وهم من كان لهم دون المعاصي وقاية ودون الشرور حاجز فاتقوا الله عز وجل . وأدوا فرائضه ، وقد ذكر الله للمتقين في كتابه أوصافا كثيرة متفرقة في مواضع مختلفة يرجع أمرها الى الإيمان بالله ورسوله ، والإيمان بالغيب ، والقيام بما فرضه الله على عباده واجتناب ما نهى الله عنه ، مع الخشية من الله ومراقبته في جميع الأعمال ، ومع الاحسان الى العباد جميعهم إلا من نهى الله عن موالاتهم ممن حاد الله ورسوله وآدى المساهمين في دينهم وأوطانهم ، ومن نهى عن الركون اليهم من الفجرة والكفرة .

ومما ذكر الله من أوصاف المتقين ما اشتملت عليه الآية الكريمة « آم » . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون » .

وما اشتمل عليه قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

هؤلاء الذين اتقوا ربهم لهم عقبى الدار : جنات تجري من تحتها الأنهار ، وقرب منه ورضوان . وهذا هو ما يصح أن يسمى عاقبة يحرس عليها ويسمى لها ، وهذا هو الذى يسمى الدار

الآخرة . أما ما يناله الفجرة من الخزي والهوان فلم يسمه الله عاقبة ، ولم يسم الله مكانه الدار الآخرة .

« من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون » .

أخبر الله جل شأنه في الآية السابقة أنه أعد نعيم الآخرة للمعتقين ، وفي هذه الآية بين مقادير الجزاء فقال إن جزاء الحسنة ما هو خير منها والسيئة مثلها .

والجزاء بالخير يكون بعشرة الأمثال كما جاء في آية سورة الانعام « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ويكون بأكثر كما في قوله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء »

وذكر العدد لا يقصد منه التحديد سواء في العشر أو في الأكثر ، وقد عرف من لغة العرب ذكر العدد دون أن يكون له مفهوم ، والغرض هنا المبالغة في الاحسان وإعطاء المحسن أكثر مما يستحق بعمله تفضلا من الله سبحانه ، وخزائن رحمته لا تنفذ ، وموارد عطائه لا تنضب .

أما السيئة فجزاؤها مثلها . وإذا كانت الحسنة تجازى بعشر أمثالها أو أكثر ، والسيئة تجازى بمنثلها ، فالويل كما قيل لمن غلبت آحاده أعشاره ، وفي الحديث « يقول الله إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها حسنة وإن لم يعملها ، فإن عملها فعشر أمثالها ، وإن هم بسيئة فلا تكتبوها ، وإن عملها فسيئة واحدة » .

وقد رغب الله في الصالحات بأكثر جزائها ، ولطف بالعباد فلم يجاز على السيئة إلا سيئة واحدة ، لما علم ما في طبيعة الانسان وغرائزه من النزوع الى الشهوات والخروج عن الحدود . « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد . قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين » .

بعد أن قرب الله في الآيات السابقة أحوال العباد على وجه عام ، النفث في هذه الآية الكريمة الى رسوله الكريم ومصطفاه محمد صلى الله عليه بصفة خاصة .

أنزل الله القرآن على النبي وأوجب عليه حملة وتبليغه والعمل بما فيه ، وأوجب عليه الدعوة الى ما اشتمل عليه من الحق والهدى وجدال المعاندين المكابرين ، وأوجب عليه حيطة الدعوة وحمايتها وقتال المعتدين على حرية الدعوة .

ندبه الله لهذا كله ، وتلك مهمة شاقة تحتاج الى الشجاعة والصبر والبطنة والحذر ، وتحتاج

الى سياسة ماهرة حازمة في تدبير أمور الخلق في الحرب والسلم ، وتدبير علاقات الامة الاسلامية بعضها مع بعض ، وتدبير علاقتها مع غيرها من الأمم ، وقد لاقى في سبيل ذلك من العنت ما لاقى ، ومن الشدائد والآحن ومن العداوة والبغضاء ما حدثنا به التاريخ ، وقام بما ندب إليه على أكمل وجه وأتمه ، وكتب السير طائفة بما أداه وناطقة بما لاقاه .

وقد أعد الله له من الجزاء ما يناسب حسناته ، فقال : « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » أى معاد خاص بك لا يكون لغيرك من البشر ، فلم يعمل أحد ما عملت ، ولم يحتمل أحد ما احتملت ، ولم يناضل أحد عن الحق مثل ما ناضلت ، وقد فضلت إخوانك الانبياء بأنك بعثت الى العالم جميعه الى أن تقوم الساعة ، فانت تصلح الانسانية وحدك ، أما هم ففهم من أرسل لامة خاصة ، ومنهم من أرسل لأم الى أجل محدود .

ثم زاده الله عز وجل بعد هذه البشارة بشارة أخرى ، وهو أنه حمل الهدى والنور ، وأن معانديه وجاحدى دعوته في ضلال بين ، وأمره أن يخبر المعاندين بهذا على هذا الأسلوب الكريم الذى يقل حدة العناد ويجذب المعاند ويكسر من شدته وينقل من غربه ، فقال « قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين » .

يعنى بمن جاء بالهدى نفسه الطاهرة ، وبمن هو فى ضلال مبين معانديه الجاحدين . وعلى غرار هذا الأسلوب الكريم جاء قوله تعالى « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » . وكل واحد يدرك ما يحدثه مثل هذا الخطاب ، فإذا قلت لمحدثك المخطئ : « أهدنا مخرجنا » فلنبحث لنصل الى الصواب ، كسرت منه حدة الجدال ، وفلتت غرب العداوة والخصومة ، أما إذا قلت له : « أنت المخطئ » ، وأنت فى ضلال مبين ، فقد زدت عنادا ، وقويت فيه روح البغضاء . فليتدبر المسلمون وليقتدوا بكتابهم فى التخاطب عند التخاصم . وأبن هذا مما يحدث للعلماء عند الجدل فى الفقه أو الكلام من الرمى بالكفر والتنازع باللقاب الضلال والفسوق . شرح الله صدر نبيه بهذا كله ، ليحفره عن المضى فيما هو بسبيل منه من الدعوة والتبليغ ، وليسليه مما يناله من أذى المعاندين ، ويهجن ما عليه المشركون من المقاومة للدعوة والصد عن سبيل الله .

« وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ، فلا تكونن ظهيرا للكافرين .

ولا يصدك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ، وادع الى ربك ، ولا تكونن من المشركين . ولا تدع مع الله إلها آخر . لا إله إلا هو ، كل شئ هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون » .

بعد أن بين الله مكانة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذكر أن له معادا يخصه ومنزلة لم تقدر لاحد غيره ، ذكره أن الفضل الذى منحه وأعطيه من أنزال القرآن والتكليف بتبليغه ، وما أحاط

بذلك من أنواع الكرامات لم يكن ليتوقعه ويرجوه ، بل حصل ذلك كله رحمة من الله ولطفًا وإحسانًا . فعنى قوله تعالى : « وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك » ما كنت تتوقعه وترجو حصوله ولكن نزل رحمة من ربك . وهذا التذكير يشعر بعظم النعمة التي تشعر بعظيم الشكر عليها . وقد عرف محمد صلى الله عليه وسلم هذه الكرامة وأدى صلوات الله عليه حقها .

وبعد أن عرفه منزلته عنده ومقدار نعمته التي خصه بها ، نهاه عن أمور ، كما طلب منه أمورًا : نهاه عن أن يكون ظهيرا ونصيرا للكافرين في أي شأن من الشئون التي تعلى من قدرهم وتضعف أمر المؤمنين ، ونهاه عن أن يطبع الكافرين إذا صدوه عن آيات الله وصدوه عن التبليغ والدعوة وحماية التبليغ والدعوة ، وطلب إليه المئاربة على الدعوة والأيمن المشركين في شأن فيكون منهم ، وألا يدعو مع الله إلها آخر .

خو طب النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس محمد - بحكم مكانته وما قدم من أوصافه وجزائه - بم تصور أن يكون مع المشركين ، وأن يدعو مع الله إلها آخر ، أو أن يتواني في الدعوة وهي وظيفته وصلة . وجه إليه الخطاب والمقصود بالخطاب غيره ، إياك أعني واسمعي يا جارة .

وإذا كان محمد هو أكرم الخلق يوجه إليه مثل هذا الخطاب على هذا النحو ، فإن العباد يجدون في البعد عن هذه المنهيات الشنيعة التي نهى عنها من لا يتصور وقوعها منه ، ومن ناحية أخرى فإن الخطاب على هذا النحو يقطع أطماع الطامعين ، ويبهيج النبي عليه السلام وبلمبه غيرته ويقوى عزيمته . وإذا كان أكرم الخلق وأعلم الناس بالتوحيد يطلب منه ألا يعتمد على غير الله وألا يتخذ غيره وكيلًا حتى يكتمل توحيده ، فإن هذا يوقظ الوجدان وينبه العباد إلى أن التوحيد الخالص صعب المركب بعيد المنال ، ويوجب على العباد التدبر فيما هم عليه من نداء غير الله من أموات وأحياء ، والاستعانة بغير الله من أموات وأحياء ، والاشكال على الأسباب التي لم يسنها الله وعدم التفكير في أن الله هو المعطى المانع الضار النافع .

والحق أن هذا الخطاب من أشد القوارع على المسلمين وأقطع الأدلة على المتوسلين . بعد أن طلب منه ما طلب بين له السبب والعلة فقال : « لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » .

ومتى كان الأمر على هذا النحو : إله واحد له الوجود الحق ، وله النصرف ، وله ملك السموات والأرض ، وإليه المرجع والمصير ، وجب أن يدعى وحده ، وأن يستعان به وحده ، وأن يطاع أمره ويسمع نهيه ، وأن يلقى إليه العبد مقاليدته ، فهو الذي يعلم ويسقى ، وهو الذي يميت ويحيي ، وهو الذي يمرض ويشفي ، وهو الذي يعز ويذل ، وهو الذي يغفر الخطيئة يوم الدين ، وغيره هالك في ذاته لأن وجوده من الله ، ثم بعد وجوده يهلك أيضا ، ومردده إلى الله ، وليس لغيره شأن في الآخرة التي يفر فيها المرء من أخيه وأمه وأبيه ، ولا ينفعه إلا ما قدم من عمل صالح مقبول . نسأل الله أن يجعلنا بالتوحيد ، وأن يرزقنا غرات التوحيد ، وأن يحشرنا مع الموحدين .

السيرة المحمدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

تابع فصل الأصول القرآنية التي اقامت الدولة الاسلامية

ووضعت أساس الامة العالمية

١٣ - « فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم

الله وأتلك هم أولو الألباب » .

هذا الأصل كان له أثر كبير في سرعة ترقى المسلمين ، فانه باباحته لهم ، بل بتخصيصهم على الاستماع لكل قول والاختذ بأحسنه ، جعلهم معرضين لأموال النطور المختلفة دون حائل من عقيدة أو تقليد أو وراثة .

ذلك أنهم لما اختلطوا بالأمم لنشر الدعوة التي كلفوا بها ، تبادلوا القول مع المدعين ، فأنصتوا الى كل ما وجه اليهم ، لا إنصات الجامدين المتشددين ، ولكن إنصات الباحثين المستطلعين ، الذين أمروا أن يتلقفوا الحكمة أنى وجدت ، عملاً بأمر كتابهم ، وبوصاية رسولهم ، في قوله صلى الله عليه وسلم : « خذ الحكمة ولا يضررك من أى وعاء خرجت » ؛ فتبين لهم نقصهم في كثير من الشئون العلمية والعملية ، فاندفعوا لتداركه اندفاعاً لم يؤثر عن أمة من الأمم قبلهم ، فاستعانوا عليها بالعارفين بها من غير ملتزمين ، وأحلوا محل الكرامة لعلمهم وفضلهم ، وأغدقوا عليهم من برهم ورغدهم ، ما حمل كل ذى علم أو صناعة أن يتقدم اليهم ، وأن يخلص لهم ، فراجت سوق العلوم والفنون ، وارتقت في بيئة هذا النشاط الثقافى الحر درجات المعارف المختلفة ، بعد أن كان أهلها يوصمون بالزندقة ، وتوصد في وجوههم أبواب الأرتزاق .

وكان الخلفاء يتلمسون أهل العلم في الأفاق ، ويستحضرونهم مكرمين وفادتهم ، مغدقين عليهم من الأموال ما لم يروا له مثيلاً في عهد دولتهم ، ولم يكف المسلمين أخذ ما وقفوا عليه حاضراً بين أيديهم ، بل عمدوا الى المكتبات الزاخرة بالمؤلفات ، فاستخرجوا كل ما كان فيها من ذخائر العلوم والفلسفة لكبار المؤلفين ، واتخذوا ترجمة لها من آحاد تلك الأمم ، لنقلها الى

العربية . وقد قبل المسلمون كل ذلك مرتاحين إليه ، لأن الغرض كان العلم النافع ، وقد اتبعوا أحسنه كما حثهم عليه الكتاب ؛ فكان منهم الأئمة الكبار في جميع فروعهم ، وآلت إلى المسلمين الزخامة العلمية في العلم كله قرونا متوالية ، وقد اعترف الأوروبيون أنهم نقلوا عنهم العلوم إلى بلادهم ، حدث عنها ماسمويه بعهد البعث La Renaissance الذي كانت مدته القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وكانت مادته ما لفت المسلمون أنظارهم إليه من كتب العلماء القدامى ، وما قاموا بترجمته إلى العربية من معارفهم .

١٣ — أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ،

فإنها لا تعى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

كشف الاسلام لاهله بهذه الآية عن سر عظيم من أسرار البسكولوجيا العالمية ، في عبارة تعتبر غاية في التأثير على النفس ، وهو أن للقلوب عمى تصاب به ، لا يعتبر بجانبه عمى الأبصار شيئا ، لأنه يحجب عن الإنسان أكبر ما بهمه ، وهو النور العلمي الذي ، يقوّم به حياته الصحيحة . وأما عمى الأبصار فيحجب عنه النور المادى الذي يريه الكائنات المحسوسة ، وليس احتجابها عنه بشيء إلى جانب ما يحجبه عمى القلب عنه من المقومات التي لا بد له منها في حياته الخالدة . وقد قرر القرآن الكريم ذكر القلب نحو مائة وخمس وعشرين مرة ، في ألوان من التعبير هي أبلغ ما يقصد به التأثير في النفس الإنسانية .

وقد علل الكتاب إعراض الكافرين عن الدعوة إلى الحق ، بمرض يعترى القلوب يمنعها عن التأثر به ، فقال تعالى : « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب عظيم بما كانوا يكذبون » وقال تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا ، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون . وأما الذين (في قلوبهم مرض) فزادتهم رجسا إلى رجسهم ، وماتوا وهم كافرون » .

ومن أبلغ ألوان التعبير في هذا الموطن نفية القلوب عن الكافرين فقال تعالى : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ، ووصفه قلوبهم بالهواء ، فقال تعالى : « وأفئدتهم هواء » ، ونفيه عن قلوبهم الفهم فقال تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

كل هذا التلوين البديع لفت المسلمين إلى قلوبهم ، فعنوا بصحتها أشد من عنايتهم بصحة أجسادهم ، وزادهم النبي صلى الله عليه وسلم مضيا في هذه العناية ، بما وصاهم به من حكمة العالمية كقوله : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » ، وقال : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

هذه العناية بالقلب من ضروريات الأمم التي يُعدها الخالق لخلافته في الأرض ، وامتداد

سلطانها على الأمم والجماعات فيها . فالأمم التي لافلوب لآحادها بالمعنى المراد هنا ، قد تعيش وتقوم لها مدنية ، ولكنها تعيش لذاتها ، وتكسب كراهة جيرانها ، وتستجلب الأحداث على نفسها ، بما تتركبه من غشمة وغطسة على كل من يرتبط بها ، ويكون أكبر تمويلها على الأسلحة في استبقاء وجودها ، ولا تكون أهلا لبسط سلطانها الأدبي على جيرانها ، لتستحق بذلك خلافة الله في الأرض ، أى زعامة الأمم فيها ، وهو ما يعبر عنه بالأساط السيامى Hegémonic ، كما كانت الحال بالنسبة لمصر والصين والهند وأثينا ومملكة فارس في العالم القديم ، لأن هذا السلطان الأدبي لا تكفى فيه القوة الحربية ، ولا البسطة العلمية ، فلا بد له من روح أدبية راقية ، تؤثر في العقول والقلوب معا . فجاء الاسلام حاصلا على هاتين البسطين على أكمل الأحوال . فكان الذين يخشون بأس أصحابه من ناحية ، يتسممون منه روحا عالية تمثل لهم الرحمة والعدالة والسماحة من ناحية أخرى ؛ فدانت لهم الجسوم والأرواح معا ، وهذا كل ما ينبغي أن تكون عليه الأمم العالمية ، التي يبعث قيم الوجود بها في الأرض حين يطفى سلطان المادة على العقول ، وتدلم غياهب الأهواء في النفوس ، وتتداعى أركان الفضيلة في القلوب ، فيصون الحق بها دعائم العمران البشرى أن تמיד . وقد أدى الاسلام للعالم من هذه الناحية مهمة نالت الجماعات البشرية منها حصصا بقدر ما تحتاج إليه ، ولا يزال الاسلام قائما بمهمته العالمية ، ولم يمنعه ما أصاب أهله من فتور أن يؤثر بقوته الدتية من وجوه غير مباشرة « ولتعلن نبأه بعد حين » .

أريد بعد هذا كله أن أقول إن العناية التي وجهها الإسلام إلى إصلاح القلوب هى التي أخذت بيد أهله الأولين إلى بلوغ الغايات التي بلغوا إليها ، وستأخذ بيد أخلافهم إلى استرداد مكانتهم بين الجماعات البشرية .

١٤ — « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ » أى وهم لا يمتحنون ؟
المعنى أتوهم الناس أنه يكذبهم أن يقولوا آمنا ، فيعتبروا من شيعه الحق من قبل أن يمتحنوا ، فيظهر أنهم صادقون ؟ وقد صارحهم الحق بنوع هذا الامتحان فقال تعالى : « لتبلون في أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الامور » ، وقال تعالى : « ولتبلونكم بشئ من الخوف والجوع ، ونقص من الاموال والانفس والثرات ، وبشر الصابرين ، الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » .

وقد صرح الله تعالى بأن يبلو المؤمنين بالخير وبالشر أيضا فقال تعالى : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » .

أقام الاسلام أتباعه بهذا الأصل العظيم على الصراط الضيقي للتطور ، وهو الاصطراع بينهم وبين الحوادث على النحو الذي عليه الخلق أجمعون ، لا على النحو الذي يتخيله أهل الأديان ، من أن الله يحاسبهم فيعفيهم من الجهد الشاق الطويل للحوادث ، ومن المراس العنيف المضى للحوادث ، فصرح الله لهم بأن سنمه في تربية خلقه في هذا العالم الارضى لا تتغير : « ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجزيه ، ولذلك قرن الايمان في وصاياه بالعمل ؛ وبهذا وقر في نفوس المسلمين أن الايمان بالحقائق الالهية إنما هو عمل قلبي ثمرته اقامة صاحبه على الصراط الاقوم من الاخلاق والآداب ، وأنه يثبت في روعه روح الاقدام على الأمور العظام ، والصبر على الخطوب الجسام ، والمضى قدما إلى الغيات الشريفة ، لا يلويه عنها ما يصادفه من العقبات ؛ وأنه لا يعفيه من العمل المستمر ، والدؤوب الممتد ، ولا من كل ما يلابس هذه الجهود من الانخداع والاختفاق .

وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم أن للايمان بالحقائق الالهية واجبات لابد من أدائها ، ومشقات لا يحصى من معاناتها ، فقال : « شددكم بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل » أى ثم الافضل فالافضل .

وكان الله معفيا أحدا من مكاره الحياة ، لا عنى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأيت من سيرته أنه كان لا ينعم بالحياة المادية ، وكان وقته كله ونفاه على واجباته الرسولية ، حتى روى أنه حدث ذات ليلة ما يوجب الدعر لأهل المدينة من أصوات وصيحات الرعجات النائمين ، فظنها الناس غارة ، ففرزع كل من سمعها الى سلاحه وحصانه وانطلقوا صوبها ، فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصانه بغير سرج ، وقد تبين مصدر الدعر وفعل راجعا ، فلما رأيهم تبسم وقال لهم : ان تراءوا ان تراءوا . فعجزوا من أنه كان أسبقهم الى المخاطرة بنفسه وحده في الليل الدامس .

وفيما نأبى به من الآيات الآتية دلائل ناصعة على ما نقول ، قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قبل لكم انفروا في سبيل الله انما قاتم الى الارض ، أثرتكم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ، ويستبدل قوما غيركم ، ولا تضره شيئا ، والله على كل شئ قدير .

نزلت هاتان الآيتان وعدة آيات بعدها حين دعا النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين لقتال الرومانيين ، فظلم عليهم شيء من التثاقل ، استهوا بالمقاتلة دولة عظيمة تعد حيوشتها بمئات الألوف ، مساحاة أكل تسليح . فنزلت هذه الآية تنذرهم بأنهم إن لم يقوموا بالمهمة العالمية التي ندبوا اليها عذبهم الله عذابا أليما ، واستبدل بهم قوما غيرهم للانطلاق بهذه المهمة التي تقتضى أقصى ما تمككه النفس البشرية من التضحية . تخضع المسلمون لأمره ، وأنفوا جيشا قوامه

ثلاثون ألفا سار به النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ حدود الشام ، فلم يحرك الرومانيون ساكنا ، فأمر جنوده بالجوع ، وقد ابتلوا ابتلاء شديدا ، ومُحَصَّصوا تمحيصا بالغا ..

هذا الابتلاء في معترك الأهوال ، وصبر المسلمين الأولين على كل ما نالهم فيه من كوارث وكروب ، واقتنائهم بأن الله لا يجابي أحدا لآي اعتبار كان ، وأن مجرد الإيمان بالقلب لا يفي عن العمل ، وأن أولى الناس بالتضحية وبذل الوسع هم المؤمنون بأن ما عند الله باق وكل ما عداه فهو فان ، كل هذا جعل من المسلمين الأولين أداة صالحة للقيام بالاعباء العالمية التي اختارهم لها الإرادة الإلهية ، فبلغوا في سنين معدودة ما لم يبلغه سواهم في قرون ، وصاروا آية ناطقة على أن التعاليم التي كانت توحى إليهم ، وتقيمهم على الصراط الذي قاموا عليه ، كانت تعاليم إلهية رفعتهم من حضيض الجاهلية ، إلى حالة أفادوا بها العالم إفادة لم يُتَحَهَا قيم الوجود لأمة أخرى .

١٥ - « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » .

هذا الأصل كشف للمسلمين عن سر عظيم من أسرار الاجتماع البشري ، وهو التضامن ، فالأمم وقد خلقت لتعيش مجتمعة ، يؤثر ما يصيب بعضها من قصور أو انحراف في البعض الآخر ، لأنهم في الواقع يؤلفون جسما واحدا . فيكون من الجهل والحماقة أن يعيش فرد في مجتمع وهو غير مبال بما يصيبهم كأنه مستقل عنهم . فالاعواز الذي يصيب الطبقة الفقيرة مثلا ، والجهالة التي تقع فيها ، وسوء الآداب التي تتردى في حماها ، كما يصيبها بالمتاعب ويجعل حياتها مرة ، أو يدهورها إلى حالة همجية حيوانية ، يصيب بقية طبقاتها أثر من تلك الحالة تقض مضاجعها ، وتنغص عيشها ، بل قد تأتي على ثرواتها ، وتقضى على سمعتها ، أو تعدو على وحدتها .

بهذا الأصل أصبح كل مسلم في العالم الاسلامي الأول يهتم بما يصيب مجتمعه من الانحراف بعض طبقاته ، فأعمل فكره في إصلاحه ، وصارح به إخوانه ليعملوا على تداركه من وجوهه المشروعة ، ومتى شاع أمره بينهم أصبح مسألة عامة يهتم بها المجتمع كله جسدا وروحا .

أما الذين يخيل إليهم أنهم يستطيعون أن يعيشوا ناعمين لاهين ، وفي جسم مجتمعتهم صدوع لم ترأب ، وفي سيرتهم اعوجاج لم يعالج ، فانهم يكونون في ضلال مبين .

هذا الأصل الكريم جعل من كل مسلم مراقبا على من تضمنه وإياهم رابطة الاجتماع ، إن رأى فيهم عوجا سمى في تمديله بكل ما أوتي من وسع . فمجتمع يكون هذا تكوينه تكون مناعته حيال الأمراض الاجتماعية من القوة بمكان . والمعروف علميا في عهدنا هذا أن أوامر الحكومات لا تنفذ على الوجه المطلوب ما لم تجد الحكومة من الشعب معيناً عليها .

السنة

التاس رضا الله وإن سخط الناس

كتب معاوية إلى عائشة رضي الله عنهما ، أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ، ولا تكثرى على ؛ فكتبت إليه « سلام عليك . أما بعد فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكفه الله إلى الناس . والسلام عليك . » رواه الترمذى .

المعنى

منقبتان كريمتان ، تلعمان فى سيرة الراشدين المقسطين ، من خلفاء المسلمين وأمرائهم . فأما أولاهما ، فهى تمهدهم للولاة والعمال بالرعاية والمراقبة ، وإيصاؤهم كلما حانت فرصة ، بالعدل والاحسان ، وتقوى الله فى السر والاعلان . وأما أخراهما ، ولعلها أكرم من سابقتهما وأجل ، فهى إصاغت لهنصح الناصحين ، من أولى المسكانة فى العلم والدين ، بل هشاشتهم لهذا النصح وارتياحهم له ، والتماسهم إياه ممن هو به قين ؛ إذ يعلمون أن الدين النصيحة ، وأن أكفا من يؤديها على وجهها ، وبخاصة إذا استنصحوها ، هم أئمة الفضل وأعلام الهدى ، الذين لا يبالون غير الحق ، ولا يخافون فى الله لومة لائم . وقد حفظ لنا التاريخ من هذين الصنفين من الوصايا مثلا عليا ، تكفل للائم وحكوماتها ، إذا اهتدت بهداها ، سعادة الأبد ، وعز الخلود .

ومن الصنف الثانى هذه الوصية الموجزة الجامعة ، التى اقتبستها أم المؤمنين عائشة من غرر حكمة صلوات الله وسلامه عليه ، وأنقلتها الى معاوية ، ردا على كتابه ، وإجابة لاستيصاله .

والذين يعلمون شيئا من تاريخ معاوية ، وكياسته وبعد نظره ، لا يعجبون له إذ يختص عائشة بالكتابة ، وبين يديه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جم غفير ، كلهم على هدى من ربهم وبصيرة . وقد يخطر بالبال أن هذا الاختصاص مظهر من مظاهر الدهاء وسعة الخيلة ، ابتغاء التحبب الى أم المؤمنين وشيعتها ، ومن وراء هذا تثبيت الملك وتأييده . ولئن صح هذا إنه لمن السياسة الرشيدة ، والنظرات البعيدة ، والكياسة النادرة التى ماز الله بها معاوية رضي الله عنه ، والتى ينفس لها صدر الدين الحنيف ، ولا تأبأها مروءة

ولا كرامة . ومن أحق بهذا الفضل من معاوية وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون هاديا مهديا ؛ وقال فيه ابن عباس رضي الله عنهما وكان نقادا : ما رأيت للملك أعلى من معاوية . وأجمع المؤرخون وأولو البصر بالسياسة أنه كان أسوس الناس ، وأسودهم ، وأحقهم بالملك والرياسة . والذين يعلمون مقام عائشة من الدين ، وسبقها في الفضل ، ومكانها من النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يعجبون كذلك لهذا الجواب السديد المحكم ، وهذه النصيحة الفاذة البالغة ، ثم هم ينصفون معاوية ويوقنون أنه على الخير سقط .

ليس عجبا من عائشة رضي الله عنها ، وهي تتوقد ذكاه وتمتليء إيماننا وهدى ، أن تدرك بغية معاوية وحبه للملك ، وحياطته له باجتذاب القلوب واصطناع النفوس ، وأنه قد يحوم لهذا حول مساخط الله في مراضى عباده ، ومن حام حول الحى يوشك أن يقع فيه ، فتنفذ اليه هذا البلاغ لينذر به ، ولا يتخذة دستوراه ومنهاجه ، وليعلم أن يبد الله قلوب العباد ونواصبيهم ، فمن أطاعه وأرضاه رضي الله عنه ، وأرضى عنه الناس حتى يرضى عنه من أسخطه في رضاه ، ويزين لديه قوله وعمله وشأنه كله ، ومن أعرض عنه وأسخطه أسخط الله عليه ، وأسخط عليه من أرضاه في سخطه ، وعاد حامده من الناس ذا ماله وناقما عليه ، ذلك بأن الباطل غشاوة على البصر والبصيرة لا تلبث أمام الحق حتى تزول . وقديما قيل : الحق أبلج والباطل للجلج .

ولا يدورن بخلد أحد أن الملوكة والأمراء في غنى عن رضا الرعية . بل إنهم إلى رضا رعاياهم أحوج من الرعايا إلى رضاهم ؛ إذ لا ترسخ دعائم الملك إلا على المحبة والرضا ، ومن ثم كانوا أحوج الناس إلى العدل وأولاهم به ؛ يحفظ ملكهم ، ويكبت عدوهم ، ويقبهم فتنه الحقد والضعفينة ، ويوطد لهم الأمن والسكينة ، وبحق قيل : العدل أساس الملك . هذا ، والذين يلتمسون رضا الناس بسخط الله صنوف شتى ، هم أصل البلاء ، ومكان الداء ، وبأمثالهم منى الاسلام ، في كل زمان ومكان .

فمنهم المنافقون المداهنون ، الذين يسرون خلاف ما يعلنون ، أو يراءون الناس ويزعمون أنهم مخلصون ؛ ومنهم الجبناء المستضعفون ، الذين تأخذهم من الناس هيبة تخرس ألسنتهم ، وتعمى قلوبهم ، فلا يقولون حقا ، ولا ينكرون باطلا ؛ ومنهم الذين يوادون من حاد الله ورسوله ، ويتخذون بطانة من دونهم لا يألوهم خبالا .

يتزلف هؤلاء إلى الناس ، ويترضونهم بمساخط الله ، رجاء حظ موهوم ، أو جاه مزعوم ، أو عرض خادع ، « كسراب بقيعة يحسيه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا » . وشر من هؤلاء من يشتري مساخط الله بسخرية الناس وازدراؤهم ، من أولئك المجاهرين الما جنين والسخفاء المتظرفين ، ومن على شا كلتهم .

وليس منهم من يتلمس رضا الله والناس ، فيترفق في المعاملة ، أو يتلطف في الجمالة ،

أو يدارى السفهاء فى غير مس لكرامته ودينه ، حتى إذا لم يكن بد من أحد الأمرين : سخط الله ، أو سخط عباده ، أثر الحق على الخلق ، ولم يبال الناس شيئا .

وليس عجبا أن يكون العاملون على رضا الله وإن سخط عباده أحمد الناس عاقبة ، وأوفاهم من محبة الله والناس نصيبا . ذلك بأنهم حفظوا الله لحفظهم ، وانصروا الله فنصرهم ، وتولوا الله فكفاهم ، « وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » .

لما ولى ابن هبيرة العراق وخراسان يزيد بن عبد الملك ، بعث الى الحسن البصرى ، وابن سيرين ، والشعبي ، فاحتفى بهم وأحسن مشواهم ، ثم قال : إن الخليفة أخذ من الناس عهدا وأعطاهم عهده كي يسمعوا له ويطيعوا ، وإنه تأتى منه كتب إن أمضيتها أسخطت الله وإن أهملتها أسخطت أمير المؤمنين فإذا تأمرون ؟ فأجاب الشعبي بكلام فيه تقية ، وسكت ابن سيرين . فقال يا أبا سعيد ما تقول ؟ فقال الحسن : يا ابن هبيرة ، خف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله ؛ فإن الله جل وعز مانعك من يزيد ولن بمنعك يزيد من الله . يا ابن هبيرة ، إنه لا لماعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فما كتب إليك يزيد فأعرضه على كتاب الله فما وافقه فأنفذه وما خالفه فلا تنفذه ؛ فإن الله أولى بك من يزيد ، وكتاب الله أولى بك من كتابه . وما زال به حتى أبكاه . فما كان من الوالى بعد أن انصرف فى عبرته إلا أن أرسل إليهم جوائزهم فأعطى الحسن أربعة آلاف درهم ، وصاحبيه ألفين ألفين . فنادى الشعبي على باب المسجد : من قدر منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفعل فإن الأمير قد سألنا عن أمر الله ، ما علم الحسن شيئا جهلته ، وما علمت شيئا جهله ابن سيرين ، واسكننا أردنا وجه الأمير فأقصانا الله عز وجل وقصر بنا ، وأراد الحسن وجه الله فباه تبارك اسمه وزاده .

وما لنا نسوق الشواهد ونضرب الأمثال ، ونحن نراها كل يوم بأعيننا ، ونسكاد للمعصية لمسا بأيدينا ؟

ألا إن من أثر الله واتقاه ، وقدم مرضاته على هواه ، جمع الله حوله القلوب ، ودفع عنه عوادي الخطوب ، وجعل له من عدوه نصيرا ، ومن مناوئيه ظهيرا ؛ ألا وإن من باع دينه بدنياه ، وخشى الناس ولم يخش الله ، هتك الله ستره ، ونكس عليه أمره ، وصرف عنه قلوب العباد ، ولم يبلغه حظا مما أراد . وسبحان مقلب القلوب والأبصار ، يصرفها كيف يشاء .

طه محمد الساكت

المدرس بالأزهر

المشكلة الفلسفية العظمى

- ٨ -

المظهر الفلسفي لفكرة الألوهية

ب - الإدراكات الحديثة

تنمية البحث في المحامد الإلهية :

رأى القديس توماس في مشكلة الشر :

ليس الشر كائناً ذا وجود حقيقي ، ولكنه أيضاً ليس عدماً مطلقاً ، وإنما هو انسلاب الخير ، لأنه لا يمكن تصور الشر دون تعقل انعدام الخير ، ولهذا لا يوجد شر أعلى كما يوجد خير أعلى ، لأن انسلاب الخير الأعلى ينتج وجود خير نسبي ، ولا ريب أن حالة الخير النسبي ليست حالة شر محض . على أن القديس توماس لا يعنى بالشر المادى إلا عناية ثانوية ، وإنما الذى يهمه على الأخص هو الشر الأدبى الذى هو وحده الشر الحقيقى ، وهو عنده نوعان : أولهما الشر الناشئ من الخطأ أو سوء الصنيع ، وثانيهما الشر الناجم عن الأحزان القلبية والآلام النفسية . وهلة الأول هو الانسان وحده ، ومصدر الثانى هو الإله ولكنه لا يصدر عنه إلا عرضاً ولمصلحة أهم وأعم .

رأى ليبينتز :

يرى هذا الفيلسوف أن علة الشر توجد في الحدود الأساسية للكائنات ، وبهذا المعنى يمكن القول مع أفلاطون بأن عنصر الشر كامن في المادة ، ولكن على ألا يكون معنى كلمة المادة على ظاهره المفهوم لدى الرأى العام ، وإنما معناها الأحوال المرتبطة بالكائنات من حيث الجوهر ، أى من حيث هي ممثلة تمثيلاً صادقاً في العقل الإلهى ، وإذا كان أصل الشر ناشئاً من حد الكائنات ووقعها عند نقط معينة لا تتعدها طبعاً فانه لا يكون له علة وجود ، بل علة انعدام ، وبعبارة أدق : ليس له علة إيجابية ، بل علة سلبية .

بقى في هذه النقطة أن يتساءل : لماذا يسمح الإله بالشر ؟ ولكن ليبينتز يجيب على هذا التساؤل بأن الإله كان يريد الخير ويحققه في كل شئ ، بدون استثناء ولا يسمح بوجود الشر في أية ناحية من نواحي الـكون لو أنه كان ينظر الى كل جزئية من جزئيات الطبيعة على حدة ، ولكن لما كان ينظر الى الـكون كله على أنه وحدة عظمى لا تتجزأ ، ولما كان ما يعتبره البعض خيراً قد يصطدم أو يتناقض مع ما يعتبره البعض الآخر خيراً أيضاً ، فقد شاءت الإرادة

الإلهية أن تضحي بالخيرات الجزئية في سبيل خير تلك الوحدة الكونية العامة . وقد يقتضى هذا النظر السامى وجود بعض الشرور التى لا يتحقق الخير الأعلى بدونها . ولا ريب أن ذلك هو أسمى مقتضيات الحكمة . وقصارى القول أنه لا ينبغي أن يقاس ما يجب على الإله فعله بما يجب على الإنسان فعله ، وإلا لتحكمت إرادة الإنسان فى الكون . ولا جرم أن هذا منهج بين الفساد ، إذ أن فى الكون شؤونا أخرى لا تصل إليها مدارك الإنسان فضلا عن أن تشملها عنايته وتحكمها إرادته ، بل يجب على هذا الإنسان أن يلتزم حدوده ويدرك أن ما يبدو أنه فوضى فى الجزء قد يكون فى الكل أرقى أنواع النظام .

٢ — براهين وجود الإله عند أشياع مذهب تعدد الوجود أو القائلين بالعلة المنفصلة :

يطلق الباحثون المصريون على البراهين التى ساقها فلاسفة المعصور الوسطى والمصر الحديث على وجود الإله اسم البراهين الماثورة أو البراهين التقليدية ، ويقسمونها إلى ثلاثة أقسام : أولها ما اعتمد فيه على العقل اعتمادا خالصا من كل شائبة وهو البراهين الميتافيزيكية أو المابعد الطبيعية . وثانيها ما انتزع من العالم الخارجى أو اعتمد فيه على التجربة الحسية وهو البراهين الطبيعية . وثالثها ما استنبط من العالم الأخلاقى ، وهو ما يدعى بالبراهين الأخلاقية (١) . وهاك شيئا من هذه البراهين :

(١) البراهين المابعد الطبيعية :

تنقسم هذه الطائفة من البراهين بدورها الى قسمين : أولها البرهان التجردى البعيد أكمل البعد عن جميع أساليب التجربة وأفانين الاتصال بكل ما عدا العقل النقي . ويعرف هذا البرهان لدى الذين يعنون بالمشكلة الإلهية ببرهان القديس أنسلم المبتدع (٢) . وثانيها البراهين التى يمكن أن يطلق عليها اسم براهين التجربة العقلية إذا صح هذا التعبير ، ويدخل تحت هذا القسم البرهان الذى استمير من أفلاطون والبراهين التى تصعد من الفكر العقلية الى الإله على اعتبار أنه علتها الأولى .

(١) البرهان التجردى أو :

يصعد هذا البرهان على سلم الحياة العقلية الى القرن الحادى عشر ، إذ أن مبدعه هو القديس أنسلم كما أسلفنا ، ولكن عددا من الفلاسفة المحدثين - كديكارى وليبنيتز وأشياع

(١) لا ينبغي الاعتراض هنا بأن النسبة يجب أن تكون الى المفرد لا الى الجمع ، إذ أن النسبة الى المفرد فى هذا المقام - وهو الخلق - تؤدي الى خطأ فنى ، لأن المقصود هو النسبة الى الاخلاق كعلم له كيان لا الى الخلق .

(٢) القديس أنسلم هو أحد أئداز مفكرى المدرسين فى المعصور الوسطى ، وقد ولد فى آأوست بايتاليا فى سنة ١٠٣٣ وأخذ يرقى فى المناصب الدينية حتى عين رئيس أساقفة كانتوربرى ، وتوفى سنة ١١٠٩ ومن تعاليمه الأساسية أن الايمان ضرورى للفهم ، وأن الفلسفة ليست إلا العقيدة محاولة أن تعبر نفسها عقلية .

وحدة الوجود ، قد أنزلوه منزلة الشرف ، فاعتمد عليه بعضهم واستأنس به البعض الآخر استئناسا يؤذن بالإجلال . وإليك تفصيله :

صرح القديس أنسلم بأن سلامة البرهان تنوقف على بنائه على أساس مسلم به من الخصوم وهو ما يدعوه المناطقة بالبدهي . ولذلك صدر في رهانه هذا عن مبدأ معترف به من المؤمنين والملحدن جميعا ، وهو أن فكرة الإله موجودة في العقول ولكن وجوده هو الذي كان ولا يزال موضع الخلاف ، ولا مشاحة في هذه الدعوى ، لأن الملحدن لا يجدون تصورم الألوهية ، وإنما هم يجدون وجود الإله قائلين : ليس كل ما يتصور يجب أن يوجد ، فإذا كانت فكرة الألوهية موجودة ومتصورة في العقل لا على نحو ما تتصور الموجودات الأخرى (وإلا لساوتها فخرجت بهذه المساواة عن معناها) فقد لزم أن يكون تعريف الإله كما يأتي :

الإله هو الكائن الذي لا يتصور العقل أعظم منه . ومن هذا التعريف ينتزع البرهان الآتي :

إذا كان هذا الكائن الأعظم لا يوجد إلا في التصورات العقلية فحسب وليس له وجود حقيقي كان ذلك متناقضا مع كونه أعظم الموجودات ، لأن العقل يستطيع أن يتصور كائنا آخر يساويه في الوجود الذهني ويفوقه بالوجود الحقيقي فيكون أعظم منه ، وقد قررنا أنه أعظم الكائنات ، فهذا خلف . وإذا ، فمجرد تصور الإله على أنه أعظم الموجودات يقتضي وجوده الحقيقي ، إذ الأعظمية لا تتم إلا بهذا الوجود . ولكي يصاغ هذا البرهان في قالب المنطقي يمكن أن يقال . الإله هو الحائز لجميع الكمالات ، والوجود كمال ، فالإله حائز للوجود . وهذا يكون الإله هو الموجود الأوحد الذي يستلزم تعريفه وجوده ويتناقض وجوده مع مجرد تصور حقيقته .

هذا ، وسنورد في المقال الآتي ما وجه إلى هذا البرهان من اعتراضات منذ العصور الوسطى إلى الآن . فالى اللقاء .

الدكتور محمد غنم

« يتبع »

أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية

دعائم الكلام

قال أبرويز شاه الفرس قبل الاسلام لكانبه : « اعلم أن دعائم المقال أربع ، إن النسخ له خامس لم يوجد ، فإن نقص منها واحد لم تتم ، وهي سؤالك الشيء ، وإخبارك عن الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، فإذا طلبت فأسجج ، وإذا سألت فأوضح ، وإذا أمرت فأحكم ، وإذا أخبرت فأحقق ، واجمع الكثير فيما تريد في القليل مما تقول » .

قال ابن عبد ربه في عقده : يريد الكلام الذي تقل حروفه ، وتكثر معانيه .

حياة خاتم الأنبياء والمرسلين

خالد بن الوليد

- ١٢ -

حروب الردة وبطولة خالد :

لم ينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى وفي جزيرة العرب ركن لم يدخله الاسلام ، بل لقد فاضت به الى ما حولها حتى وقعت دعوته في أسماعهم ، فأقر الله عين رسوله وأتم نعمته على عباده ، وأكمل للمؤمنين دينهم الذي ارتضاه شريعة عامة لخلقهم ، ولسكن الناس كانوا بين مؤمن موثق ، ومؤمن مفزع ، وكافر عنيد ، ومنافق مفضوح ، ومتأوج تتطارحه الأهواء ، يصبح مع هذا ويمسى مع ذلك ، وإذا بالطامة الكبرى تفجأ المسلمين ب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسرى النبا فادحا مع الأثر في أرجاء الجزيرة ، وتلقاه الناس فاعرى أفواههم ذهولا وبهرا ، ورفع النفاق رأسه ، وأبدت اليهودية الحانقة عن ذات نفسها ، وأعربت النصرانية عن غيظها العظيم ، وتراجع الجفأة من الأعراب الى مضاربهم يقولون لأنفسهم : لو كان نبيا مامات ، وتنبأ الكذابين والكذابات ، وتجمع الغناء الى بعضه جسرا يمنع تيار الاسلام أن يندفع الى مهابط الهداية والرحمة من الأرض ، وبقيت فيما بين المسجدين طائفة المؤمنين الموقنين بإمامة أفضل مولود بعد النبيين ، ذلك صناد الدين وعلم اليقين ، مجدد الاسلام الصديق أبي بكر سيد المؤمنين ، فنهض بحمل العبء وحده حتى إذا رأى منه أعلام الاسلام الجد في الأمر انشרכת صدورهم لما شرح الله له صدره من الحق . قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها نصف حال الناس وحال الصديق معهم حينما صدعهم الخطب العاصف : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشترأت اليهودية والنصرانية ، وعم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقدهم نبيهم حتى جمعهم الله على أبي بكر ، فلقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها .

أشفق المسلمون أشد الاشفاق على أنفسهم ودينهم من هذا الحادث الخطير ، وودوا بمجدع آفاتهم لو أنهم هادنوا الناس ، فهادنهم الناس ، وأعربوا عن خـوالجهم الى إمامهم ، وجادلوه وجادلهم حتى تغلب عزمه على ترددهم ، واجتمعت كلمتهم ، وأخذوا يحجز الناس عن النار حتى ردوهم الى ساحة الايمان واليقين .

روى الديار بكري عن يعقوب بن محمد الزهرى : أن العرب افتقرت في ردتها ، فقالت فرقة : لو كان نبيا ما مات ، وقال بعضهم : انقضت النبوة بموته ، فلا نطيع أحدا بعده ، وقال بعضهم : تؤمن بالله ونشهد أن محمدا رسول الله ، ونصلى ، ولكن لا نعطيكم أموالنا ، فأبى أبو بكر إلا قتالهم ، وجادل أبو بكر أصحابه في جهادهم ، وكان من أشدهم عليه عمر ابن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وقالوا له : احبس جيش أسامة بن زيد ، فيكون عمارة وأمنا للمدينة ، وارفق بالعرب حتى ينفرج هذا الأمر ، فإن هذا الأمر شديد غوره ومهلكة من غير وجه ، فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا : قاتل بمن معك ممن ثبت من ارتد ، وقد اصفقت العرب على الارتداد ، فهم بين مرتد ومانع صدقة فهو مثل المرتد ، وبين واقف ينظر ما تصنع أنت وعدوك ، قد قدم رجلا وآخر رجلا . وفى بعض الروايات أن عمر قال : يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم ، فقال له أبو بكر : أجبار في الجاهلية خوار في الاسلام ؟ قد انقطع الوحى ، وتم الدين ، أينقص وأناحي ؟ ١

وقد طمع قوم من شيوخ الاعراب الجفافة في استغلال هذا الاضطراب استغلالا ماديا ، وظنوها فرصة لا تفلت منهم ؛ روى أن عبيدة بن حصن ، والاقرع بن حابس ، قدما على أبى بكر في رجال من أشراف العرب ، فدخلوا على رجال من المهاجرين ، فقالوا : إنه قد ارتد عامة من وراءنا عن الاسلام ، وليس في أنفسهم أن يؤدوا إليكم من أموالهم ما كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن تجمعوا لنا جمعا نرجع فنكفيكم من وراءنا ، فدخل المهاجرون والانصار على أبى بكر فعرضوا عليه الذى عرضوه عليهم ، وقالوا نرى أن تطعم الاقصر وعبيدة طعمة يرضيان بها ويكفيانك من وراءها حتى يرجع إليك أسامة وجيشه ، ويشد أمرك ، فإننا اليوم قليل في كثير ، ولا طاقة لنا بقتال العرب . قال أبو بكر : هل ترون غير ذلك ؟ قالوا : لا ، قال أبو بكر : قد علمت أنه كان من عهد رسول الله إليكم المشورة فيما لم يحض فيه أمر من نبيكم ، ولا نزل به الكتاب عليكم ، وإن الله لن يجمعكم على ضلالة وإنى سأشير عليكم ، وإنما أنا رجل منكم ، تنظرون فيما أشرت عليكم ، وفيما أشرتكم به فتجمعون على أرشد ذلك ، فإن الله يوفقكم ، أما أنا فأرى أن نشد الى عدونا ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وأن لا ترشوا على الاسلام أحدا ، وأن تنأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فنجاهد عدوه كما جاهدتم ، والله لو منعوني عقالا لرأيت أن أجاهدكم عليه حتى آخذهم من أهله وأدفعهم الى مستحقه ، فأتروا يرشدكم الله ، فهذا رأيي . فقالوا : أنت أفضلنا رأيا ورأينا رأيك تبع .

سبحان الله ! رجل من الناس يقف وحده في جانب ، والناس أجمعون يلقون أمامه في جانب آخر ، قلة منهم تواليه ، وتؤمن بما آمن ، ولكنه تثبطه وتخذل عنه ، ويحجزها

الفرق عن مجاراته ، وكثرة فاصرة تناصبه العداء وتربص به الدوائر ، وتناهب لاجتياحه وسحق عصابته ، فما هذا الذي أغرى الصديق أبا بكر بهذا الموقف القذ ؟ إنه الايمان ، ولا شيء غير الايمان ، هو الايمان وحده الذي هون على الصديق أمر الحياة بأثرها في سبيل عقيدته ، أليس قد تم الدين ، وانقطع الوحي ؟ أينقص الاسلام وأبو بكر حي ؟ كلالن يكون هذا ذلك طرز من الايمان لا يصلح أن يطالب الناس بمثله ، لأنه في سلك الاعجاز منظوم ، ولكشا نعرضه للتأسي عسى أن يفتنهم به القائلون على الاصلاح في أقطار الاسلام .

الايمان كالكمرباء سريع السريان ، قوى الصبر لصدأ القلوب ، وسرع ماسرى إلى قلوب المؤمنين قبس من إيمان الصديق ، فتحولت أنفسهم إلى أرواح صديقية تفدى العقيدة بالحياة . وبحق ما قال الفاروق عمر رضى الله عنه : والله لقد رجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعا .

جدت بالصديق الجد في قتال المرتدين ، وأراه الله رشده فيهم ، واستجاب له أصحابه ، فنتج بين يديه كنانة الاسلام وعجم عبدانها لينظر أصلها عودا فيرى به في أول وجه ، وإذا بسيف الله بطل الاسلام خالد بن الوليد يتراءى له وقد عقد النصر بناصيته ، وهو أعلم الناس بمكانه من الحرب وسياستها ، فدفع إليه اللواء ، وعزم على المسير بنفسه ، فكله في ذلك أعيان الصحابة ، فقال له عمر : ارجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فنة ورداً ، ولما أكرهوا عليه في الرجوع واطمأن إلى صوارم عزماهم أراد أن يستخلف على الناس ، فدعا زيد بن الخطاب لذلك ، فقال له زيد : يا خليفة رسول الله كنت أرجو أن أرزق الشهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أرزقها ، وأنا أرجو أن أرزقها في هذا الوجه ، وإن أمير الجيش لا ينبغي أن يباشر القتال بنفسه ، فدعا أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، فقال مثل ما قاله زيد بن الخطاب ، ثم دعا سالما مولى أبي حذيفة ، فأبى عليه ، وكان الله تعالى ادخر هذا المقام لخالد بن الوليد القائد العبقري جلس الحروب وصنديدها ، فدعاه أبو بكر فلبى ، وأمره على الجيش فأطاع ، وقال للناس : سيروا على اسم الله وبركته ، فأمرهم خالد بن الوليد ، فاصمعو له وأطيعوا ، ثم خلا بخالد فقال له : يا خالد عليك بنقوى الله ، وإيناره على من سواه ، والجهاد في سبيله ، فقد وليتكم على من ترى من أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، وسار خالد أول أمره إلى طليحة الأسدي ، وكان من بلائه وشجاعته وبراعته في سياسة الحروب ما ستقرأ فتري من أي الخلائق صاغ الله رجالات الاسلام ؟

صادق إبراهيم حربويه

الموجة الثالثة

التشيع

تكلمنا عن أمواج الفكر الاسلامي ، وقلنا إن الموجة الأولى هي موجة الكفر والايمان لأنها أول هذه الموجات وأقواها وأن ما تبعها من مقالات فهو كالروافد لذلك التيار القوي الذي يسيطر على العقول ، مما جعل المسلمين يكفر بعضهم بعضا . على أن الجمهور اتبع سبيل الاعتدال وآثر عدم الخوض في تلك المقالات الخطيرة ، وهؤلاء هم أهل السنة ، على حين كانت الفرق المختلفة تمثل طوائف المتطرفين وأهل اليسار بلغة أهل السياسة .

وقلنا إن الموجة الثانية هي موجة التشبيه والتجسيم ، وأول ظهورها عند السبئية في زمن على بن أبي طالب ، وتقلبت بعد ذلك في صور مختلفة .

وإن صحت رواية عبد الله بن سبأ ، إذ يشك بعض المؤرخين في وجوده إطلاقا ، فإنه ومن لف لفه من الغلاة كانوا قوما اتخذوا من القول بإمامة علي ونسله سبيلا إلى الطعن في العقيدة الاسلامية . ولهذا السبب جعل مؤرخو الفرق الشيعة ثلاثة أصناف : الغالية ، والرافضة ، والزيدية (١) .

ولم يذكر الفخر الرازي في كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين فرقة الشيعة ، ولكنه تكلم على الروافض ثم الغلاة ثم الكيسانية ثم فرق المشبهة .

أما الاسفراييني في « التبيين في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة » فقد ذكرهم تحت عنوان تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائلهم . والروافض يجمعهم ثلاث فرق الزيدية والإمامية والكيسانية (٢) . ثم علق الاستاذ الكوثري في هامش الكتاب بأن « الصواب إبدال لفظ الروافض بالشيعة لأن تحت هذا العنوان فرقا لاصلة لهم بالروافض أصلا » .

ونحن لانميل إلى جمع هذه الفرق تحت اسم الشيعة كما فعل الأشعري والشهرستاني ، وكما تابعهم الاستاذ الكوثري ، بل نتفق مع الرازي وأبي المظفر الاسفراييني في تسمية كل فرقة باسمها دون أن نجعلهم كلهم تحت لفظ الشيعة .

وهذا يقودنا إلى البحث في أصل هذه التسمية ، ومتى أطلقت .

قال ابن خلدون في المقدمة « الشيعة لغة هم الصحب والاتباع . ويطلق في عرف الفقهاء من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم » قال ومذهبهم المتفق عليه عندهم أن

(١) مقالات الاسلاميين الاشعري ج ١ ص ٥ (٢) التبيين في الدين ص ١٥ وما بعدها .

الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ، بل يجب تعيين الامام وأن عليا هو الذي عينه النبي صلى الله عليه وسلم .

قال المقرئى « فأسباب الخلاف معروفة ، وما يدعيه كل جيل معلوم ، وإلى كل ذلك قد ذهب الناس ، فمنهم من ادعاه لعلى بن أبى طالب باجتماع القرابة والسابقة والوصية بزعمهم ، فإن كان الأمر كذلك فليس لبنى أمية فى شىء من ذلك دعوى عند أحد من أهل القبلة » (١) والمؤلف هنا يدافع عن العباسيين ويهاجم الأمويين ، فوصف الخلافة بأنها « وصية » أنها بزعمهم .

ذلك أن الراجح أن النبي لم ينص على خلافة على بن أبى طالب ، وبويع أبو بكر وعمر وعثمان على ما هو معروف فى التاريخ . ثم أصبح على رابع الخلفاء الراشدين ، ونازعه معاوية ، وقتل الخوارج عليا ، وبايع الناس الحسن ثم تنازل عن الخلافة لمعاوية . ولما مات معاوية وتولى ابنه يزيد خرج عليه الحسين فى المدينة ، وعبد الله بن الزبير فى مكة ، ثم توجه الحسين الى العراق بعد أن راسله أهلها ، ولكنه قتل فى كربلاء .

والمؤكد أنه لم تكن هناك شيعة لعلى فى أيام أبى بكر وعمر وعثمان . ويشك المؤرخون فيما ينسب الى عبد الله بن سبأ فى زمن على . وتنازل الحسن برضاه وقبل المسلمون ذلك ، وتحلى أهل العراق عن الحسين ، ولم تكن لهم مقالة فى الامامة وما يتبعها .

ونحن نعتقد أن أول تشيع صحيح من جهة المذهب ، وأساسه القول بأمامة أهل البيت إنما جاء بعد مقتل الحسين ، لشعور أهل العراق بالندم لما فعلوه ، وتأيد العناصر غير العربية ، على الأخص الفرس ، للقائلين بالتشيع رغبة منهم فى هدم الدولة الأموية والوصول الى السلطان .

قال صاحب الفخرى وهو ممن يميل الى الشيعة « ثم ظهر فى تلك الأيام (يريد فى خلافة مروان بن الحكم) المختار بن عبيد الثقفى ، وكان رجلا شريفا فى نفسه ، على الهمة ، كريما ، فدعا الى عهد بن على ابن أبى طالب وهو المعروف بابن الحنفية . ثم إن المختار قويت شوكته فقتلك بقتلة الحسين . . . ثم إن عبد الله بن الزبير أرسل أخاه مصعبا وكان شجاعا الى المختار فقتله » (٢) .

« والمختار الذى خسر ج وطلب بدم الحسين بن على ودعا الى عهد بن الحنفية ، كان يقال له كيسان ، ويقال إنه مولى لعلى بن أبى طالب » (٣) .

قال الشهرستانى « السكيسانية : أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على عليه السلام ،

(١) النزاع والتخامم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم للمقرئى .

(٢) الزجرى فى الآداب الشافعية لابن الطقطقى . مطبعة الموسوعات بمصر ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) ثلاث الاسلاميين ص ١٠٠ ص ١٦ .

وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية ، يعتقدون فيه اعتقادا بالغا ، من إحاطته بالعلوم كلها ، واقتباسه من السديدن الأسرار بمحملتها من علم التأويل والباطن ، وعلم الآفاق والآنفس .

ثم ذكر الشهرستاني عقب ذلك فرقة « المختاربة » أصحاب المختار بن أبي عبيد كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكيسانيا . قال بأمامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين على رضى الله عنهما ، لابل بعد الحسن والحسين . وكان يدعو الناس إليه ، ويظهر أنه من رجاله ودعاته ، ويذكر علوماً مزخرفة ينوطها به (١) .

والراجع أن المختار هو كيسان ، وأن الكيسانية اسم الفرقة التي سافت الامامة الى محمد ابن الحنفية ، وأول من دعا الى ذلك المختار وذهب بعده آخرون .

قال الاسفراييني « وأما الكيسانية فهم أتباع مختار بن أبي عبيد الثقفي الذي قام يطلب ناز الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان يقتل من يظهر به ممن كان قاتله بكر بلاء . وهؤلاء الكيسانية فرق يجمعهم القول بنوعين من البدعة . أحدهما : تجويز البداء على الله تعالى ، أي أنه قد يرى رأيا ثم يبدو له غيره فيرجع عن الرأي الأول . الثاني : قولهم بأمامة محمد بن الحنفية .

« ولما وقف محمد بن الحنفية على دعوة المختار تبرأ منه حين وصل إليه أنه من دعائه ورجاله ، وتبرأ من الضلالات التي ابتدعها المختار من التأويلات الفاسدة والمخاريق المموهة . فن مخاريقه أنه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة وقال : هذا من ذخائر أمير المؤمنين على عليه السلام . وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني إسرائيل . فكان إذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ويقول قاتلوا ولكم الظفر والنضرة ، وهذا التابوت محله فيكم محل التابوت في بني إسرائيل . وفيه السكينة والبقية والملائكة من فوقكم ينزلون مدداً لكم . وإنما حمله على الانتساب الى محمد بن الحنفية حسن اعتقاد الناس فيه وامتلاء القلوب بحبه . . . وكان السيد الحيرى وكثير الشاعر من شيعته . قال كثير فيه :

ألا إن الأئمة من قريش ولاية الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيهِ هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمه اللواء
يغيب ولا يرى فيهم زمانا برضوى عنده غسل وماء

(١) الملل والنحل للشهرستاني على هامش الفصل لابن حزم طبعة عبد الرحمن خليفة ١٠٢٢ س ١٥٢ وما بهما

وكان السيد الحيرى أيضا يعتقد أنه لم يمّت ، وأنه فى جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان ، تجران بماء وعسل ، ويعود بعد الغيبة فيملا العالم عدلا كما ملئت جوراً « (١) .

وهذا هو مذهب الكربية أصحاب أبى كرب الضرير كما جاء فى كتب المقالات : ولما تم للمختار الظفر فى حروب كثيرة اغتر بنفسه فأخذ يتكلم بأسجاع كأسجاع الكهنة ، فلما بلغ خبر كهنته الى محمد بن الحنفية خاف أن يقع بسببه فتنة فى الدين وهم ليقبض عليه ، فلما علم به المختار وخاف على نفسه منه اختار قتله بحيلة فقال لقومه : المهدي محمد بن الحنفية وأنا على ولايته . غير أن للمهدي علامة وهى أن يضرب عليه بالسيف فلا يحيك فيه . وخاف محمد بن الحنفية فتوقف حيث كان .

ثم إن مصعب بن الزبير بعث الى المختار عسكرياً قويا ، فبعث المختار الى قتالهم أحمد بن شبيب أحد قواده مع ثلاثة آلاف من المقاتلة وقال لهم : أوحى الى أن الظفر يكون لكم . فهزم ابن شبيب فيمن كان معه ، فماد اليه فقال : أين الظفر الذى قد وعدتنا ؟ فقال له المختار : هكذا كان قد وعدنى ثم « بداله » فان سبحاه وتعالى قال « بمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ثم خرج المختار الى قتال مصعب ورجع مهزوما الى الكوفة فقتلوه بها (٢) . قال الشهرستانى « وفى مذهب المختار أنه يجوز البداء على الله تعالى . والبداء له معان : البداء فى العلم وهو أن يظهر خلاف ما علم . ولا أظن حافلا يعتقد هذا الاعتقاد . والبداء فى الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم . والبداء فى الأمر : وهو أن يأمر بشئ ثم يأمر بعده بخلاف ذلك . وإنما صار المختار الى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال إما بوحي بوحي اليه وإما برسالة من قبل الامام ؛ فكان إذا وعد أصحابه بكون شئ وحدوث حادثه ، فان وافق كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال : قد بدا لربكم . وكان لا يفرق بين النسخ والبداء . قال : إذا جاز النسخ فى الأحكام جاز البداء فى الأخبار » .

هذه مجمل الروايات عن المختار ودعوته الكيسانية أو المختارية ، ويتضح من تضاربها أن الشك يتطرق الى صحتها ، وأن كثيرا منها موضوع للتشنيع عليه . ولكن مما لا شك فيه أن ظهور المختار كان صحيحا ، وأنه قام يأخذ بنثر الحسين وأنه انتسب لمحمد بن الحنفية وأخذ يدعو له . وبعد ، فسنة الناس أن يختلفوا فى مذاهبهم الدينية والسياسية . وقد أوصى الاسلام باحترام الآراء ، فالمسلم الحق يتبع منها ما يقوم له الدليل على صحته ، ويوسع صدره لاحترام كل ما يخالف مذهبه ، مع اطراح ما يختلفه بعض غلاتها على بعض ، لتتحقق الوحدة الاسلامية وخاصة فى هذا العهد الذى يجب أن تتجلى فيه هذه الوحدة بأكل معانيها ، وأروع مظاهرها .

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

بحوث في التصوف

البحث الأول

في أى ناحية من نواحي الدين نبت التصوف

يتكون الانسان من عنصرين : ذلك العنصر المادى الذى ينمو ويتحرك ، ثم ذلك الجوهر البرىء عن المادة الذى له تلك المظاهر الخاصة من تفكير وعلم وإرادة وحب وبغض وخلق كريم أو ذميم . هذا العنصران لكل منهما رغائب ينوق الى تحصيلها فى أقصى حدودها ؛ فللجسم رغائب من الطعام والشراب الى غيرها من سائر الشهوات والذائدات الجسمية ، وللروح كمالات يمكن أن تنال منها حظوظا متفاوتة حسب سميتها ومجاهدتها .

انصلت الروح بالبدن ، وفى هذا الاتصال ألوان من البلاء ؛ فى هذا الاتصال صار الانسان عبدا لشهواته وملذاته ، وانحطت بشريته الى درجة الحيوانية المحضة ، لا يحترم من الحياة إلا ألوان الطعام والشراب وسائر أنواع الشهوات ، بل ربما انحدر الى ما وراء الحيوانية المعتادة بما وهب من التفكير يكشف به أنواعا من الشهوات لا يصل إليها إلهام الحيوان أو تفكيره المحدود .

كان من حكمة الله تعالى ورحمته الذى رأى الأنواع وقدر لكل نوع كالا يتفق واستعداداته وفطرته الخاصة ، أن يهذى الانسان الى كماله « أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » وسلك معه فى سبيل الهداية ما يتفق وطبعه ؛ فأرسل إليه معلمين يحملون إجازة من معاهد الوحي يرشدونه بما أوحى إليهم الى كماله وسعادته ، فكانت الشرائع ، وكانت الكتب السماوية .

جاءت الشرائع السماوية لتحدد حظوظ النفس من الكمالات وما ينبغى أن تحصل عليه منها ، فى باب العقائد والأخلاق والعبادات التى ترهف من روحانيتها وتطهرها من أدران الجسمية الخبيثة ، إلا أن هذا التشريع الإلهي لم يهمل فى الانسان جانب الجسمية والمادة بل أخذ قسطا كبيرا من عنايته ، فبين ما حل وما حرم من الطعام والشراب والمناكح وأمثال هذه المسائل (١) .

قطع التشريع فى هذه الناحية شوطا بعيدا نلص فيه أن غرض الشارع فى هذا النوع من الأحكام أن يرقى بالحياة المادية فى الانسان الى مستوى يمتاز عن الحيوانية الجاهلة .

يمكننا أن نقبين من هذا العرض الوجيز أن الشرائع راعت فى تنظيمها الحياة البشرية

(١) القرآن الكريم حافل بمثل هذه التشريعات الاسلامية « أحل الله البيع وحرم الربا » ، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة . كونوا قوامين بالنسط . وجاء فيه كثير مما نزل من الوسايا على الأمم السابقة ، فالشرائع السماوية كلها جاء تشريعها لتكامل الانسان عقلا وروحا .

جانبى الكمال الروحى والراغب الجسدى ، فأحلت للانسان كثيرا من الطيبات «كأوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون» .

استطاع الانسان فى أكناف هذه الشرائع وهداياها أن يرقى بروحه ، وأن يكملها بالعقائد الحقة والملكات الفاضلة ، بينما يحظى جسده بكثير من الطيبات والملاذات . هذا الوسط بين الحياة الروحية المحضة والحياة المادية المحضة هو ما يلتزم وطبيعة البشر العادية المكونة من عنصرى الروح والجسد ، وفى وسع كل إنسان أن يلتزم هذا التوسط فى حياته من غير إعسات ولا مشقة .

نلاحظ أن الشرائع فى باب السمكالات الروحية لم تقف بالانسان عند تخوم معينة بل فتحت الباب على مصراعيه ، اللهم إلا فى الفرض والواجب وعلى العكس من هذا زارها قد حددت حظوظ الانسان من الشهوات والملاذات وجعلت له شركاء فى نعمائه من الفقراء والمساكين الخ .

وراء هذا الفرق ناحية أخرى امتازت بها السمكالات الروحية ؛ ذلك أن منها ما هو واجب لا مفر منه ، بل منها ما تأكد وجوبه حتى ليخرج الانسان بإهماله من حظيرة الايمان وهو التقديس الالهى ، وليس الأمر كذلك فى باب الحظوظ الجسدية ، بل تعاليم الشرائع فيها إنما هو فى بيان ما يحظر منها وما يباح ، أما أنه يجب على الانسان شىء منها فلم تحدث الشرائع بشىء من ذلك ، اللهم إلا وجوب مابقى الانسان التهلكة من الطعام والشراب ، ويستقر عورته من النياب .

ففتح الشرائع باب السمكالات الروحية على مصراعيه وتركها الاكزام بشىء من الحظوظ الحيوانية ، فسح المجال واسعا لبعض المسلمين أن يهجروا كثيرا مما أباح الله تعالى من الطيبات والملاذات وأن يهملوا الناحية الجسمية ، اللهم إلا ما يقيم الحياة الضرورية ، وأن يقبلوا على الروح وتكليفها بأنواع السمكالات والعبادات .

هذا الفريق من المسلمين هم المتصوفة ، وسبيلهم هذا هو التصوف ، وهنا ينكشف لك أن التصوف . نبت فى الدين فى ناحية السمكالات الروحية والأغراق فيها .

البحث الثانى — التصوف والغاية منه :

نشاهد فريقا من الناس يستولى عليهم الاعجاب ببعض الأشياء وما فيها من جمال وجلال ، ويطربون لرؤيتها ويتلذذون بالحديث فى أمرها ، بل يجدون لذة روحية فى تمثل هذه الأشياء على صفحة الخيال واستعراض ما فيها من جمال وكمال . ينمو هذا الاعجاب بتلك الأشياء عند هؤلاء الناس ، وتنشعب فى نفوسهم نواحي الجمال فيها حتى لينقلب ذلك الاعجاب شوقا وولها . تؤمن فى كثير من تلك الحالات أن المعجبين بتلك الأشياء الوالدين بها لا يتعلق إعجابهم ولا يعمل شغفهم بفرض من الأغراض ، إنما هو جمال الشىء وجلاله يستولى على المشاعر .

إذا آمنا بهذا، ولا مناص من الإيمان به، فنسير علينا أن نطمئن إلى أن من المؤمنين من وصلت بهم الهداية إلى درجة انصرفوا فيها بقلوبهم وأفكارهم إلى جناب الحق تعالى، مستغرقين في معرفته ومحبته، فهم دائماً يتمثلون جمال الحق وجلاله. وبعبارة أخرى بهم قوم من المؤمنين بحبه ومعرفته، ويستعرضون دائماً على صفحات قلوبهم ما وفوا من كماله وجلاله، ويستكشفون ما غاب من نعمته وخلاله، لا يبتغون من وراء ذلك فراراً من نار ولا طمعاً في جنان، بل ولا استكمالاً لنفوسهم بهذه المدارك، وإنما ينصرفون إلى الحق للحق، فإن الكمال محبوب لذاته، فليس بعيداً أن يستولي جمال الحق تعالى على نفوس العارفين فينصرفوا بكائيتهم إليه تعالى وينقطعوا عن كل ما سواه، بل ربما انتهى الأمر بالعارف أن يصير غافلاً عن نفسه بل عن حبه لذلك المحبوب كأنه لا يبقى له شعور إلا بذات المحبوب.

هذه هي غاية التصوف نجملها في هذه العبارة: انصراف القلب والمسكر إلى جناب الحق تعالى، والاستغراق في جماله وجلاله.

هذه الغاية يواتها أمران: زهد شامل، وعبادة لا تنقطع، وهاتان الوسيلتان هما التصوف.

قال العلامة الطومسي في شرح الاشارات: «طالب الشيء يبتدىء بالأعراض عما يعتقد أنه يبعده عن المطلوب، ثم بالاقبال على ما يعتقد أنه يقربه إلى المطلوب وينتهي عند وصوله إلى المطلوب؛ فطالب الحق جل جلاله يلزمه في الابتداء أن يعرض عما سواه، ولا سيما ما يشغله عن الطلب؛ أغنى منافع الدنيا وطيباتها، ثم يقبل على ما يعتقد أنه يقربه من الحق سبحانه، وما ذاك إلا العبادة، وهذان هما الزهد والعبادة، ثم إذا وجد الحق تعالى فأول درجات وجدانه هو المعرفة».

هذا وإن الزهد والعبادة عند المتصوفة، كما ترى في كلام الطومسي، لا يبتغى الزاهد والمعبود من وراءهما ثواباً ولا جزاء، بل الغرض من الأول تنزيه النفس عن الاشتغال بغير الحق سبحانه، ومن الثاني تمرينها وارتياضها على الاقبال على الحق جل جلاله، أما الثواب والعقاب فلا يدخل في حسابهم؟ «يتبع»

محمد يوسف الشبني

المدرس بكلية أصول الدين

الامبراطور الفيلسوف

رواقية مرقس أوريليوس

١ - الرواقية في العصر الامبراطوري :

كان للرواقية في تاريخ رومة أثر لا يستهان به ، ففي إبان الحروب الأهلية التي سبقت قيام الامبراطورية الرومانية كانت أخلاق الرواق عماد العقائد والفضائل الجمهورية في نفوس الكثيرين . وفي عهد الامبراطورية أوحى الرواقية الى أنصارها أن يقاوموا استبداد القياصرة ، ولكنها كانت مقاومة أخلاقية قبل أن تكون سياسية ، صامته قبل أن تكون صاخبة . ولئن كانت الرواقية منذ عهد تيفيريوس حتى أوائل الانطونين قد جرت على أنصارها ألوانا من الشبهات والاضطهاد والأذى ، إلا أنها انتهت بأن افتتحت أبواب القصر الامبراطوري شيئا فشيئا ؛ قبلها الناس بادی الامر كما يقبلون حلية يتحلون بها أو نصيحة تسدى إليهم ، ولكنها أدركت آخر الامر أكبر ما قدر لها من ظفر . سيطرت على نفس سيد من سادات العالم الروماني هو الامبراطور مرقس أوريليوس .

٢ - حياة مرقس أوريليوس :

ولد في رومة عام ١٢١ بعد الميلاد ، ومات أبوه وهو صبي فكفلته أمه ، وقام على تربيته خيرة الاساتذة . ولقد أثنى مرقس أوريليوس في « خواطره » على جميع الذين اشتروا من قريب أو من بعيد في تربيته وتعليمه . تعلم في صباه البلاغة والآداب والرياضيات والحقوق والفلسفة . وتبناه الامبراطور « أنطونينوس » بأمر الامبراطور « ادرينوس » عام ١٣٨ فأصبح مرقس أوريليوس من أمراء الرومان . ولما مات « أنطونينوس » عام ١٦١ أصبح مرقس أوريليوس امبراطوراً على البلاد الرومانية ، وله من العمر أربعون سنة .

وكانت أيام حكم الامبراطور مرقس أوريليوس مملوءة بالاضطرابات والفتن ؛ إذ كانت الدولة الرومانية نفسها مهددة بالغزو ، فاضطر الامبراطور الفيلسوف إلى تعبئة الجيوش وإعداد عدة الحرب ، وقام بنفسه على رأس الجيش الروماني الذي سار لصد هجمات البرابرة الذين قدموا من جهة الدانوب ، واضطر أيضاً إلى أن يبيع ما كان يملك من حلى وجواهر ليندفع من ثمنها أجور الجنود ، حتى لا يضطر إلى فرض ضرائب جديدة . وقضى منذ ذلك الحين حياته كلها في جهة الدانوب ، على مقربة من « فينا » . ولم يكن يحب الحرب ولكنه اضطر إلى خوض غمارها . زاه في كتاب « الخواطر » يخلو إلى ضميره ويحاسب نفسه ، فيبدو له

أن كل شيء باطل ، وأن الحرب التي استبسل فيها قليلة الجدوى . قال : « العنكبوت نخور حين يأخذ ذبابة ، وهذا الرجل نخور حين يأخذ أرنباً صغيراً ؛ وذلك نخور حين يستولى على بلاد الصرامطة ، والجميع من حيث المبدأ لصوص (١) »

ومات الامبراطور الفيلسوف بالطاعون في فيينا عام ١٨٠ ، فكان يوم وفاته — كما قال « أرست رنان » — يوماً مشؤماً على الفلسفة وعلى المدنية (٢) .

وخلف الفيلسوف بضع رسائل باللغة اللاتينية ، ولكنه ترك على الخصوص مجموعة من التأملات الفلسفية اسمها « خواطر » (٣) كتبها لنفسه باللغة اليونانية أثناء حملاته الحربية بين سنتي ١٦٦ ، ١٧٤ في ساعات الفراغ التي كان يقتنصها من حياة مليئة بالمشاغل ليخلو الى نفسه فيخطبها ويحاسبها . وتمتد هذه « الخواطر » من روائع الكتب الانسانية .

٣ — رواقية إنسانية :

مرقس أوريليوس هو آخر ممثلي الرواقية في العصور القديمة ، ويقاب عادة بلقب « الفيلسوف على العرش » . ولقد جعله القدر امبراطوراً فيلسوفاً فلم يفس واجبات الامبراطور كما لم تفارقه لحظة شيمة الفيلسوف . كان رجلاً بسيط المظهر طيب القلب حسن السيرة ، لم يدخر وسعاً في لزوم جانب الحكمة في تفكيره وتصرفاته . وكان يسلم وجهه لإرادة الله ، فلم يقل ما يخالف الحق ، ولم يفعل ما يناق العبد والصداد .

آثر مرقس أوريليوس الفلسفة على الخطابة ، واختار المذهب الرواقى فاعتنقه بصدق وإخلاص ، لكن موقفه من الرواقية أدنى الى موقف القاضي من موقف المحامى . زاه قد رفض الكثير مما اتخذته المدرسة من القضايا المسئلة . ومن أجل ذلك نجده قد اطرح شطرا كبيرا من تفاصيل المذهب الرواقى . أغفل منه دراسة المنطق والطبيعيات الرواقية ، بل وشكر الله إذ أعانته على ذلك الخير (٤) . ولعل في ذلك الموقف عوضاً ومغناً ؛ فإن مرقس أوريليوس استطاع بهذا أن يظهر من تلك الفلسفة بعض خصائصها التي استجابت لها قلوب الناس في زمانه والتي أصبحت بهذه المثابة آخر رسالة بعث بها العالم القديم الى الأجيال المقبلة .

ولم يكن الامبراطور في رواقيته متشدداً ولا جافياً ، بل كان في مذهبه لين ويسر وإنسانية ، وكلها خصائص لم نعرفها الرواقية القديمة ، وكان يتحاشى ذكر الاصطلاحات الرواقية

(١) Marc-Aurèle , Pensées, X, 10.

(٢) Renan, Marc-Aurèle et la fin du monde Antique.

(٣) عنوانها باليونانية وترجمتها الصحيحة : « إلى نفسي » أى « مذكرات شخصية »

(٤) Marc-Aurèle, Pensées, I, 17,

البحثة ، فكان قوله أيسر على السمع وفكره أجري الى القلوب . ولقد تخلى عن بعض عقائد الرواق التي لم تكن توافق نظره الانسانية ؛ فلم يرد منسلا أن توضع جميع الذنوب في مرتبة واحدة ، بل كان يرى أن ارتكاب الخطيئة ابتغاء للذة أشد من ارتكابها لدفع ألم أو دفع مضرة ، زد على هذا أنك لا تجد في حكمة مرقس أوريليوس من الثقة والاعتزاز بالنفس ما تستشعره في أقوال الرواقين الأقدمين وأعمالهم .

٤ — لا معرفة يقينية :

ونشأ عن موقف مرقس أوريليوس هذا أنه لم يؤيد ما زعمه الرواقيون من إمكان المعرفة اليقينية ، بل مال الى تأييد اعتراض المعارضين على الرواقية القديمة في قولهم بأن الحكيم الذي له المعرفة اليقينية غير موحود . . . قال مرقس أوريليوس : كأنما ألقى على الأشياء حجاب كثيف حتى بدا لغير قليل من الفلاسفة أن اليقين شيء لا يدرك ولا ينال . بل إن الرواقين أنفسهم يحكمون بأن بلوغ ذلك غير ميسور ، وأن كل تصديق عقلي هو عرضة للخطأ والتغير ، وإلا فإين الرجل المعصوم ؟

٥ — تغير الأشياء :

يرى مرقس أوريليوس أن لا ثبات لشيء على وجه البسيطة ، إذ التغير والتبدل قانون هذا العالم . وهو يشبه الطبيعة بسيل جارف لا تكاد الأشياء تظهر وتستقر هنية حتى يغمرها فاذا بها قد اختفت في طرفة عين . وهو يقول : قف هنية وانظر الى الأشياء التي تحدث والتي تنمو كيف تحمل وكيف تختفي بسرعة . فاهوة لم تزل فاعرة هنا على مقربة منا ، واللا متناهي ، سواء في الماضي أو في المستقبل ، لا يفنأ يتربص الدوائر بالأشياء جميعا يريد ابتلاعها ! ليس بأحق من يعيش وسط هذا كله ، ثم تحدثه نفسه أن يزهو وأن يتكبر ويصخب ؟ !

٦ — الاعتقاد بالكسموس :

ومع ذلك فرقس أوريليوس لم ينته الى القول بمذهب الشك ، بل قد نراه قد اقتنع بالنظرية التي تقول بأن جميع الأشياء في النهاية واحدة ، وأن الإنسان يعيش لا في فرض وعهاء ، بل في عالم مرتب منظم . قال : « الأشياء جميعا متسلسلة متشابكة وكأنما قد ربطت برباط مقدس وثيق . ويمكن أن نقول أن لا شيء هو غريب عن الأشياء الأخرى ؛ لأن جميعها قد رتبت معا ، وهي تتعاون على تحقيق ما في العالم الواحد من حسن نظام . ذلك أن العالم الذي يتألف من جميع الأشياء واحد ، والله المنبث في كل مكان والمسيطر على الجميع واحد ، والمادة والكون واحد ، والقانون واحد ، والعقل الشائع في جميع الموجودات العاقلة واحد ، وكذلك الحقيقة واحدة ؛ لأن الحقيقة هي كمال الموجودات التي هي من أسرة واحدة والتي منحت

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

عقلا واحدا » .

النحت في كلام العرب

بقية المنشور في العدد السابق

النحت بين القياس والمماح : الذي يبدو من مراجعة كلام المتقدمين انهم لا يرون قياس النحت ، وإنما يوقف عند ما سمع منه . ولا يخالف الانسان شك في سداد هذه القضية وقوة مذهبها ؛ إذ كان النحت منا اختراعاً لالفاظ لم ترد عن العرب ، وذلك حراً وجسارة ، وإدخال على العربية ما ليس منها . ومع هذا نرى في كتابة بعض المتأخرين نسبة القول بقياسه الى السلف ؛ ففي حاشية الخضرى على ابن عقيل في الكلام على البسملة : « ونقل عن فقه اللغة لابن فارس قياسيته » . ولكننا لا نجد في فقه اللغة لابن فارس ما يهدى الى القياس ؛ ففيه : « العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة ، وهو جنس من الاختصار » . ثم مضى هكذا في الحديث عن العرب وعملهم في النحت . ومثل هذا الكلام لا يؤخذ منه القول بالقياس . وقد نسب أيضاً الى الرغزى القول بقياس النحت ، ولا أدري مصدر هذا القول ، ويغلب على الظن أن مرد ذلك الى ما اشتهر عنه من كلمة البلكفة التي نبزها الأشاعرة وجماعها ترجمة لقولهم إن الله يرى يوم القيامة بلا كيف . وليس في هذا حجة أنه يقول بقياس النحت ، فقد يكون جارى المولدين في ركوب متن النحت وهو لا يراه قياساً .

٧ — العناية :

واتهى اعتقاد مرقس أوريليوس في السكون الواحد المنظم (كسموس) الى الاطمئنان الى العناية الالهية ، وذلك من الناحيتين النظرية والعملية ؛ فمن ناحية النظر لأن نظرية التقاء الذرات بالصدفة لا تنسجم مع الاعتقاد بالوحدة الأخيرة . ومن الناحية العملية لأن الانسان إنما يجد في الاعتقاد بالعناية نقطة يبدأ منها عمله ونشاطه في هذه الدنيا . إذ بهم الانسان أن يختار بين أمرين ؛ فلما أن يكون السلطان للصدفة والحظ ، وإما أن يكون للعقل والتدبير . قال مرقس أوريليوس : « أسأخض أنت على ما قسم لك من نصيب في السكون ؟ إذن فاذكر أنك مضطر الى أن تختار : فإما عناية مدبرة ، وإما ذرات عمياء .

« فأما فوضى واختلاط وتشئت ، وأما وحدة ونظام و « عناية » . فعلى الفرض الأول لم أرغب في أن يطول مقامى بين هذا الحشد المدفوع الى الصدفة والاختلاط ؟ ولماذا أعنى نفسى بشيء آخر غير « تحول التراب الى التراب » ؟ وفيه يخالج نفسى الاضطراب ؟ إن التناثر سيصيبني إذن مهما فعلت . وعلى الفرض الثاني أقدم إجلالى ، وأقف ثابتاً لا أنزعزع متوكلاً على من بيده تصريف الامور » ؟

الدكتور

عثمان أمين

النحت في كلام العرب

بقية المنشور في العدد السابق

النحت بين القياس والمماح : الذي يبدو من مراجعة كلام المتقدمين انهم لا يرون قياس النحت ، وإنما يوقف عند ما سمع منه . ولا يخالف الانسان شك في سداد هذه القضية وقوة مذهبها ؛ إذ كان النحت منا اختراعاً لالفاظ لم ترد عن العرب ، وذلك حراً وجسارة ، وإدخال على العربية ما ليس منها . ومع هذا نرى في كتابة بعض المتأخرين نسبة القول بقياسه الى السلف ؛ ففي حاشية الخضرى على ابن عقيل في الكلام على البسملة : « ونقل عن فقه اللغة لابن فارس قياسيته » . ولكننا لا نجد في فقه اللغة لابن فارس ما يهدى الى القياس ؛ ففيه : « العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة ، وهو جنس من الاختصار » . ثم مضى هكذا في الحديث عن العرب وعملهم في النحت . ومثل هذا الكلام لا يؤخذ منه القول بالقياس . وقد نسب أيضاً الى الرغزى القول بقياس النحت ، ولا أدري مصدر هذا القول ، ويغلب على الظن أن مرد ذلك الى ما اشتهر عنه من كلمة البلكفة التي نبزها الأشاعرة وجماعها ترجمة لقولهم إن الله يرى يوم القيامة بلا كيف . وليس في هذا حجة أنه يقول بقياس النحت ، فقد يكون جارى المولدين في ركوب متن النحت وهو لا يراه قياساً .

٧ — العناية :

واتهى اعتقاد مرقس أوريليوس في السكون الواحد المنظم (كسموس) الى الاطمئنان الى العناية الالهية ، وذلك من الناحيتين النظرية والعملية ؛ فمن ناحية النظر لأن نظرية التقاء الذرات بالصدفة لا تنسجم مع الاعتقاد بالوحدة الأخيرة . ومن الناحية العملية لأن الانسان إنما يجد في الاعتقاد بالعناية نقطة يبدأ منها عمله ونشاطه في هذه الدنيا . إذ بهم الانسان أن يختار بين أمرين ؛ فلما أن يكون السلطان للصدفة والحظ ، وإما أن يكون للعقل والتدبير . قال مرقس أوريليوس : « أسأخض أنت على ما قسم لك من نصيب في السكون ؟ إذن فأذكر أنك مضطر الى أن تختار : فإما عناية مدبرة ، وإما ذرات عمياء .

« فأما فوضى واختلاط وتشئت ، وأما وحدة ونظام و « عناية » . فعلى الفرض الأول لم أرغب في أن يطول مقامى بين هذا الحشد المدفوع الى الصدفة والاختلاط ؟ ولماذا أعنى نفسى بشيء آخر غير « تحول التراب الى التراب » ؟ وفيه يخالج نفسى الاضطراب ؟ إن التناثر سيصيبني إذن مهما فعلت . وعلى الفرض الثاني أقدم إجلالى ، وأقف ثابتاً لا أززع منوكلًا على من بيده تصريف الامور » .

الدكتور

عثمان أمين

والمعجب أنه نسب إلى الزمخشري القول بالنحت في قوله تعالى « وإذا القبور بعثت » : يقول
الخصري في ص ٤ ج ١ في كتابته على ابن عقيل : « قال الزمخشري : هو منحوت من بعث
وأثير ، أي بعث موتاهما وأثير ترابها » . وعبارة الزمخشري في سورة الانقطار لا تقيد هذا
الذي ذكره الخصري ، وهاك هذه العبارة : « بعث وبختر بمعنى ، وهما مركبان من البعث
والبختر مع راء مضمومة اليهما ، والمعنى بخرت وأخرج موتاهما » . ورأى الزمخشري في هذا
واضح السالفة بادي الصفحة ؛ وهو أن البخرية أصلها ثلاثي هو البخر أضيف إليها الراء ،
والراء تزداد كثيرا كما في عرقبة : أصاب عرقبه . وهذا المذهب ينحوه الزمخشري كثيرا في
الأساس ؛ قال في مادة ح در : « وحدرج السوط : قتله . وهو من حدر الثوب : قتله ، بضم
الجيم » فترى الزمخشري أبعد الناس هنا عن النحت . وقد فهم أبو حيان عنه هذا فقال :
« فظاهر قوله إنهما مركبان أن مادتهما ما ذكر وأن الراء ضمت إلى هذه المادة . والامر ليس
كما يقتضيه كلامه ؛ لأن الراء ليست من حروف الزيادة . والزمخشري يذهب مذهب اللغويين
الذين لا يضيقون على أنفسهم ولا يتخرجون نخرج النحويين .

هذا ويميل من المتأخرين أحمد فارس الشدياق إلى القول بقياس النحت ؛ فقد نقل عنه
الاستاذ المملوف في مقاله الذي أشرنا إليه فيما سلف ما يأتي : « هل لعامل أن يقول إن الطلبة
لازمة ، وغيرها غير لازم ، مع أن الوضع إنما يراعى به اللزوم والضرورة ؟ فإذا ساغ للعرب
نحت بعض الألفاظ ساغ لنا ذلك أيضا : أن ننحت ما عس إليه الحاجة ، فهم رجال ونحن رجال » .
طرف من النحت : حدث جحظة (١) في أماليه قال : كنت يوما في مجلس ثعلب ، فقال له
رجل : ياسيدي ما بالمعجدة ؟ فقال لا أعرفها في كلام العرب . فقال الرجل : فإني وجدتها
في شعر عبد الصمد بن الممزل حيث يقول :

أعاذلتني أفصري أبع جدتي بالمن

فاغتاز أبو العباس ثعلب غيظا عظيما وقال : يا قوم أجيدوا أذنيه عركا ، أو بحلف أنه
لا يرجع يحضر حلقتي !

ودخل رجل (٢) يوما على أبي حاتم السجستاني وعلى كتفه صبي ، فقال له : يا أبا حاتم ،
ما نسمي العرب الرجل إذا كان في فرد رجله خف وفي الأخرى نعل ؟ قال أبو حاتم : لا أدري .
قال صدقت ، لأنه فوق كل ذي علم عليم ، يقال له خف مَنِيل باغلام . فضحك أبو حاتم حتى
شرق بريقه .

ومن غريب النحت قول الحجاج : تبذروا أعماركم ، أي كونوا كآبي ذر أكن لكم
كعمر . والحمد لله أولا وآخرا .

محمد علي النجار

المدرس في كلية اللغة العربية

بين الدين والفلسفة .

تأويلات عقلية لبعض الأصول الدينية

— ٤ —

الصلاة والمعجزات وطبيعة الملائكة :

يعرف ابن سينا الصلاة بأنها تشبّه النفس الناطقة بالأجرام الفلكية والتعبد الدائم للحق المطلق طلباً للشواب المرمدي . وهي تنقسم عنده الى ظاهر وباطن ؛ فالظاهر هو الحركات المختلفة ، وهي وما تشتمل عليه من هيئات مؤلفة من قراءة وركوع وسجود ، ما هي إلا أثر من الصلاة الحقيقية الملتزمة بالنفوس الناطقة وهي الصلاة الباطنة التي هي مشاهدة الحق بالقلب الصافي والنفس المجردة المطهرة عن الآماني . ويضيف ابن سينا الى ذلك قوله بأن القسم الظاهر تضرع الى فلك القمر المتصرف بعقله الفعال في عالمنا هذا ، يعنى عالم الكون والفساد ليبقى مصوناً محروساً مدة بقائه في هذا العالم من آفات الزمان . أما القسم الباطن فانه تضرع الى الله بالنفس الناطقة العالمة العارفة بوحدةانية الإله الحق ، من غير إشارة بجهة ولا اختلاط بيدن ، ومن صلى هكذا فقد نجا من قواه الحيوانية ، وآثارها الطبيعية وارتقى المدارج العقلية ، وطالع مضمونات الأزلية . وإلى هذا أشار عز وعلا حيث قال : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون » .

أما فيما يتعلق بالمعجزات وطبيعة الملائكة ، فإن أهل السنة والمعتزلة قالوا بوجود المعجزات ، فهي عندهم براهين على الرسالة النبوية ، منحها الله للنبي ليسند رسالته بها ، وهذا التفسير مرض ، فالمعجزة بحسبه تصبح شيئاً مخالفاً للسير القانوني للظواهر الطبيعية ، فلا حاجة إذن الى شرحها وردها الى الحوادث الخاضعة للقوانين . وتشبه كرامات الأولياء بمعجزات الأنبياء وإن كانت من درجة أدنى ، إلا أن المعتزلة لم يوافقوا على القول بها . أما الملائكة فقد قال المتكلمون عنها إنها مخلوقات لا تأكل ولا تشرب ، ولها أجسام قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، وهي معصومة من الخطأ ، ومهمتها تنفيذ الأوامر الإلهية ؛ ولكن بعض المعتزلة الأولين كانوا لا يقبلون القول بوجودها قائلين إنهم إذا كانوا روحيين فلا يجب أن تكون لديهم أى قوة ، وإذا كانوا جسميين فيجب أن تراهم .

والفارابي يرى أن المعجزات أشياء خارقة للعادة ولكنها لا تتعارض مع قوانين الطبيعة ،

فقوانين الطبيعة منظمة بواسطة العقول المفارقة التي بواسطتها تشرح المعجزات أيضاً . فالنبي يرتبط بالعالم المعقول ويستطيع أن يؤثر فيه ، وتبعاً لهذا التأثير يُنزل المطر ، ويشق القمر ، ويشفي المريض ، ويحسول العصا الى حية ؛ فالروح النبوية التي يخضع لها العالم الأدنى تخصصها قوة مقدسة بها تحدث المعجزات المضادة للطبيعة . وبهذه الطريقة نفسها تفسر كرامات الاولياء التي لها قوة أدنى من قوة المعجزات ، فالنبي والولي لا يخلقان شيئاً ، ولكن هذا فقط نظام بحكم العالم ، وهو يشبه تماماً مذهب الجبر الذي قال به الرواقيون ، لجميع الظواهر التي تظهر أنها غير طبيعية هي في الواقع خاضعة لقوانين عامة .

ولم يستطع الفارابي أن ينكر وجود الملائكة ، لأن القرآن تكلم عنها كثيراً ، ولم يرض عن التفسير الذي أعطاه لها المتكلمون ، فهي عنده عبارة عن موجودات معقولة ليست لها أى خاصية تتعلق بالمادة ، وهي عبارة عن الأرواح وعقول الأفلاك . ويضع الفارابي في جداوله لنظام المخلوقات ، أعين الملائكة أعلى من الأنبياء . ولقد قبل ابن سينا مع الفارابي ، وجود الملائكة ووجودهم مع الأرواح الفلكية والعقول المفارقة ، وقال إن المعجزات والكرامات التي تدهشنا لأول نظرة ، وتبدو أنها خارقة للعادة ، هي في الحقيقة خاضعة لقوانين الطبيعة ، فإن أرواح الأنبياء والاولياء تملك قوة يتجاوز تأثيرها الجسم فيتولد منها أفعال إعجازية ، وهذه القوة فطرية عند الأنبياء ، ومكتسبة عند الاولياء .

خاتمة :

هذا عرض سريع لبعض التأويلات العقلية عند بعض الفلاسفة ، تعرضنا فيه لأصول العقيدة الثلاثة ، وبعض الأصول الفرعية ، ويحسن بنا أن نختم هذا العرض باستخلاص مدى نجاح هذا المنهج في التوفيق بين الفلسفة والدين .

يقرر الميسو M. Gauthier أن الفلاسفة المسلمين قد أبدعوا إبداعاً لا ينكر في مسألة التوفيق بين الفلسفة والدين .

ويقول الأستاذ الدكتور ابراهيم مذكور في رسالته للدكتوراه « مكانة الفارابي في العالم الاسلامي » : « إن الفارابي بنظريته في النبوة ، وتأويلاته العقلية لبعض الأصول الدينية ، رسم أول خطوة للمدرسة الغربية في هذا الانحياز ، ولقد سار ابن سينا في هذا الانحياز برسائله الدينية والفلسفية الصغيرة » .

« فالفارابي وابن سينا يجتهدان في البرهان على أن العقل والوحي متفقان في الأصل وإن تميزت مبادئهما في الظاهر » .

أما ابن رشد فيرى (١) أن التأويل العقلي للقرآن والحديث يجب أن يحفظ للخاصة فلا يذكر إلا في كتب البراهين ، حتى لا يصل إليها إلا أصل البرهان ، ولا يجوز أن نستعمل فيها الطرق الشعرية والخطابية أو الجدلية ، كما صنع أبو حامد ، فهذا خطأ على الشرع وعلى الحكمة . أما عن الأشياء التي يجوز فيها التأويل والأشياء التي لا يجوز فيها ، فقد ذكر ابن رشد ذلك في كتابه « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة » بأن قسم المعاني الموجودة في الشرع إلى قسمين : القسم الأول هو أن يكون المعنى الذي صرح به هو بعينه المعنى الموجود بنفسه ، والقسم الثاني هو ألا يكون المعنى المصرح به في الشرع هو المعنى الموجود ، وإنما أخذ بدله على جهة التمثيل ، وواضح أن القسم الأول تأويله خطأ بلا شك ، أما القسم الثاني فنه ما لا يجوز تأويله إلا للراسخين في العلم ، وهي المعاني التي لا تفهم إلا بمقاييس بعيدة مركبة ، ومنه ما يجوز تأويله والتصريح به ، وهي المعاني التي تفهم بعلم قريب . فالتأمل في توفيق ابن رشد يرى عنده ، كما هو الشأن في الفلسفة اللاهوتية الجديدة وجوب الفصل بين الدين والفلسفة ، إذا أردنا أن نحفظهما إلى الأبد ، وبالتالي لا يجوز أن نبحث عن عناصر فلسفية في النعالم الدينية ، ولغة الدينين يجب أن تختلف تماما عن لغة الفلاسفة .

ومن هذا نرى أن الفلاسفة قد اختلفوا فيما بينهم في قيمة التأويل العقلي ، ومقدار نجاحه في التوفيق بين الدين والفلسفة ، وفي الاحتفاظ به للخاصة أو تعميمه بحيث يقرؤه العامة . وفي مجال اختلافهم هذا حظيت الفلسفة عند الفلاسفة الإسلاميين بمادة غزيرة تفيض بالتفكير العميق ، مما يجعلنا نقول مع الفيلسوف (جوتييه) الفرنسي ، إنهم أبدعوا إبداعا لا ينكر في التوفيق بين الدين والفلسفة .

- هب زاهر

ليسانسيه في الفلسفة

ويل للعالم من الجاهل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ارحموا عزيزا ذل ، ارحموا غنيا افتقر ، ارحموا عالما ضاع بين جهال » .

وقال حكيم : إذا أردت أن تفهم عالما فأحضره جاهلا .

وقال غيره : لا تناظر جاهلا ولا لجوجا ، فانه يجعل المناظرة ذريعة الى التعلم بغير شكر .

وجاء رجل الى الخليل بن أحمد يسأله عن شيء ، ففكر فيه الخليل ليحييه ، فلما استفتح

الكلام ، قال له لا أدري ما تقول ، فأنشأ الخليل يقول :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أعلم ما تقول عذلتك

لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتك

الرأى فى دراسة الادب

ليس من شك فى أن دراسة الأدب فى مصر لا تزال - على الرغم من ازدهار النهضة الأدبية فى هذا العصر - يكتنفها شىء من الغموض والالتواء ، ثم لا تزال ترسف فى أغلالها تارة ، وتحطم منها تارة أخرى ، ثم لا تزال دراسة الأدب أيضا فى حاجة الى علاج ناجع ودواء حاسم . فهذه ذى المعاهد التى أعدت لتدريس اللغة وأدبها ، لا تعير الأدب إلا أوبقات قصيرة لا تنفع غلة ولا تدرأ أواماً ، ولا تهت للأدب من الزمن إلا ماتمبه لبعض العلوم الأخرى كالنحو والصرف ، كأن العلوم اللسانية لا تقل خطراً عن الأدب . أجل قد تكون علوم اللغة لها من الشأن والجلال ما للأدب ، ولا مندوحة من التضلع فيها وتجلية غامضها والوقوف على دقائقها ، فانه لا غنى للعالم والأديب عن المتبحر من معينها ، ولكن الشئ الذى تلفت اليه النظر هو أن هذه العلوم ليست عميقة الغور شاقة الغوص بعيدة المنال مثل الأدب الذى يتطلب بذل الجهود الجبارة وإنفاق القسط الأوفر فى سبيل الكشف عن كنوزه والغوص عن درره . وهل علوم اللغة سوى أداة لخدمة الأدب ووسيلة يستعان بها على تذوقه واجتلاء محاسنه ؟ وهذه العلوم لا تحتاج الى عناية ونظر احتياج الأدب اليهما ، فان الأدب لم يك وسيلة لحسب شأن علوم اللغة ، ولكنه وسيلة وغاية معا ، وسيلة الى التعبير عما يحالج الأفئدة تعبيراً لا لبس فيه ولا غموض ، وسيلة الى تصوير ما يحول بالحواطر من نزعات وخطرات ، ثم هو بعد وسيلة الى فهم الحياة وأنسم قارب السعادة وخلود الذكرى .

والأدب غاية لانتم فن جميل كسائر الفنون الجميلة ، يجد فيه المرء لذة ومتاعاً ، ويجد فيه حياة روحية ناعمة ، وهو روضة غناء حافلة بشقى الورود والأزاهير التى يعبق أريجها ويتضوع شذاها فتبهز أوتار النفوس وتثير فى الأفئدة تغريد البلابل وشدهو الورق ، فترى الشاعر ينظم الدر النفيس عقداً فتاناً يزين به جسد الحياة ، وترى الكاتب ينفث الحكمة الخالدة والمثل الرائع ، ويعرض الصور الخلابة يصقل بها الأذهان بخلب الأفئدة .

ذلك حظ دراسة الأدب من الزمن ، أما حظها من الطريقة والأسلوب فالأمر أدهى الى الرئاء والاشفاق ، فان أساندة الأدب فى مصر يعنون بدراسة الأدب دراسة علمية ، أما الدراسة الفنية ، وأما تذوق الأدب كفن جميل فذلك لا يصادف إلا حظاً ضئيلاً ، فهم يجملون قبلتهم دراسة تاريخ المصنوع التى تلون فيها الأدب بألوان مختلفة ، ويترجمون لفريق من رجالات كل عصر ترجمة أدنى الى التاريخ منها الى الأدب ، أما دراسة النصوص ، وأما تذوق مآثور النثر

والشعر وتقده نقدا فنيا وتحليله تحليلاً أدبياً دقيقاً والارتشاف من رحيقه الصافي ونميره العذب، فذلك مالا يأبهون له كثيراً أو يطيلون الوقوف عند معالمه. ولعل ذلك عدوى استشرت في نفوسنا إبان أن استوفدت الحكومة بعض الأساتذة الأوربيين لتدريس تاريخ الأدب بالجامعة المصرية القديمة، ولعلنا أخذنا عنهم هذا اللون وأغرمننا به وانصرفنا عن الطريقة المثلث التي تتطلب المزاوجة بين دراسة الأدب علمياً وفنياً. وإن شئت فقل بين دراسة تاريخ الأدب ودراسة نصوصه. على أن الغربيين لا ينصرفون إلى هذا اللون وحده في دراسة الأدب، بل هم إلى جانب ذلك يدرسون نصوص الأدب دراسة عميقة. ويحتلون مفاتها، ويعبون من ينابيعها، وينقدونها نقداً دقيقاً صائباً.

وما الفرق بين دراسة حياة الجاحظ من رجالات الأدب وعمر بن العاص من أعلام السياسة والتاريخ إذا كانت الدراسة لا تخرج عن التاريخ لحياة كل منهما دون تذوق نمارهما والتأثر بنتائج أفكارهما؟ ثم ما الفائدة المرجوة من الإلمام بترجمة ألف شاعر وكاتب إذا لم تقطف من رياضهم الورود والرياحين ننش النفوس بشذاها العبق ورائحتها الذكية، وهل يسع عشاق الأدب والشادين فيه أن يفسجوا على منوال جهابذة الأدب ويثمروا إثمارهم إن لم يترسموا خطاهم فيتتبعوا نتائج قرائنهم بالدرس الدقيق والفهم العميق، ويستظهروا بلميح المأثور من نثر القدامى وشعرهم؟!

وماللة الأثافي أن المعاهد التي تأخذ على عاتقها دراسة الأدب العربي لا تدرس بعض اللغات الغربية الحية التي هي - من غير شك - ينبوع فياض وغذاء دسم لأدبنا في العصر الحديث، فإن الآداب يستقي بعضها من بعض. وهل استغنى الأدب الفرنسي أو الألماني أو الإنجليزي يوماً بمضه عن الآخر؟ وهل ازدهرت رياض الأدب الأوربي - بوجه عام - إلا بعد أن متح من معين الأدب اللاتيني؟ وهل رسخت جذور الأدب العربي نفسه وبسقت فروعه وأينعت ثماره إلا بعد أن ارتضع أفوايق الأدب اليوناني والفارسي إبان عصر بني العباس؟

فليس الأدب الفاظاً جزلة وعبارات رائعة النظم محكمة النسيج خصب، ولكن الأدب هو إلى جانب ذلك أخيلة خصبة ومعان أنيقة وأفكار قيمة وصور خلاقة، وهذا لا ينتظمه عقد لغة واحدة، فليس من الحق والسداد - وقد أصبح العالم أسرة واحدة أو كاد - أن تظل الهوة سحيقة بين آداب الشعوب، بل ليس من البر والوفاء أن تزدهر ربوع الآداب الغربية وتظل بعض ربوع الأدب العربي موحشة مقفرة، نعم لا ننكر أن الأدب العربي في هذا القرن قد استفاد من غفوة على أثر اتصال الشرق بالغرب ونقل الآداب الأوربية إلى لغة الضاد، وإن كان الكرى لا يزال يداعب جفنيه ويخدر معاقده عينيه، ولكن الشيء الذي نلفت إليه النظر هو أن رشاء الأدب العربي لا يزال قصيراً عن المتح من معين الأدب الأوربي الذي

لا غنى عنه ، لأننا حين ندرس الأدب العربى لا نغنى بدراسة بعض اللغات الغربية ، وكثير من أساتذة الأدب فى بعض المعاهد المصرية لا يفقهون شيئاً فى اللغات الأوربية ، وإن وقفوا على شئ من أدب الغرب فهو عن طريق النقل والرواية ، وحسب ما فى ذلك من الخطأ ، فليس الخبر كالبيان . وأظن أنه لا يجرؤ إنسان على إنكار أثر الأدب الأوربى فى الأدب العربى أو يزعم أننا فى غنى عن أدب الغرب وعلمهم .

* * *

ولقد كان يحز فى نفسى حين دراستى الأدب العربى بتخصص المادة بالأزهر أننا كنا مرغمين على دراسة اللغات السامية وقد قضت نجها منذ أمد بعيد ، دون أن ندرس لغة أوربية نفسى بها أدبنا ونخصب ثقافتنا ، فما غناء العبرية والسريانية وقد عفت آثارها ودرست معالمها واختفى الناطقون بهما أو كادوا ، فضلاً عن أن أدبهما فى أى عصر من العصور لم يهتأ أفكاراً جبارة أو قرائح وارية إلا فى بعض الأوقات النادرة . على أن دراستنا اللغات السامية كانت سطحية لا تمس اللب ولا تضرب إلى الأعماق ، بل لا تعدو رسم الحروف والكلمات وتأليف بعض الجمل اليسيرة ، حتى لقد كانت تتبخر من رءوسنا بعد الامتحان بأسبوع أو يزيد قليلاً .

وبما أن الأزهر قبلة المسلمين على اختلاف مشاربهم ، وكعبتهم الثقافية فى بلدهى ولا غرو قلب العروبة الخفاق وعرقها النابض ، كان أجدى به أن يقرر دراسة بعض اللغات الأوربية فى كلية اللغة وتخصص المادة ، فإن ذلك يزيد فى ثقافة الطلاب ويعينهم على دراسة الأدب الأوربى والتجول فى رياضه واجتناء الشهى من نماره . وليس من شك فى قوة ذهن الأزهرى وجلده على البحث وسبر غور الأمور ، فإذا أضيف إلى ذلك خبرته باللغات الأوربية أتى بالمعجب العاجب وكان خليقاً أن يدون اسمه فى صفحة الخلود التى تسطر فيها أسماء الجهايدة المجاهدين الذين ساهموا فى النهضة الأدبية الحديثة وشادوا الكثير من صروحها وآطامها ما

سليمان الـغـانـى

خريج تخصصى المادة والتدريس

الواقدي

حياته وشخصيته :

هو محمد بن عمر الواقدي مولى بني هاشم ، وقبل مولى بني سهم بن أسلم . وقد لقي كثيرا من الشيوخ وأخذ عنهم ، مثل معمر بن راشد ومالك بن أنس وسفيان الثوري . ومن أشهر شيوخه الذين يروي عنهم كثيرا أبو معشر السندي ، واسمه نجيج ، وكان من علماء المدينة . ويقول أحمد بن حنبل عن أبي معشر إنه بصير بالمغازي . وكتابه في المغازي ذكره ابن النديم في الفهرست ، واقتبس منه ابن سعد في طبقاته ، وكذلك أخذ عنه ابن جرير الطبري . من هذا يتضح أن الواقدي استفاد كثيرا من علم أبي معشر أيام أن كان يتلمذ عليه في المدينة .

ولد الواقدي بالمدينة عام ١٣٠هـ في خلافة مروان بن محمد ، وطلب إليه يحيى بن خالد البرمكي أن يصير إليه في العراق ففعل ، واتصل به فأغناه وأخلص في حبه . فبعد نكبته كان إذا ذكر اسمه ترحم عليه الواقدي فأكثر الترحم ، وخرج إلى الشام والرقعة ، ثم رجع إلى بغداد فبقي بها حتى ولاة المأمون القضاء بمسكن المهدي (الريصافة) في شرق بغداد ، ولم يزل قاضيا حتى مات ببغداد سنة ٢٠٧ أو سنة ٢٠٩ هـ .

يقول الخطيب البغدادي : الواقدي ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره ، ولم يخف على أحد ، عرف أخبار الناس أمره ، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم ، والأحداث التي كانت في وقته وبعد وفاته .

لواقدي كتاب اسمه التاريخ الكبير مرتب على حسب السنين اقتبس منه الطبري كثيرا في تاريخه ، وله كتاب الطبقات ذكر فيه الصحابة والتابعين مرتبين حسب طبقاتهم ، وله كتاب المغازي ذكر في أوله شيوخه الذين أخذ عنهم مغازيه ، ويبلغون نحو خمسة وعشرين ، وكلهم تقريبا من أهل المدينة أو من سكانها .

وعلى الجملة كان الواقدي من أوسع الناس علما في عصره بالمغازي والسير ، كما كان واسع العلم بالحديث والتفسير والفقه ، وكان من أكبر المصادر التي عول عليها الطبري في تاريخه .

الواقدي والحقيقة التاريخية :

يعتبر كتاب فتوح الشام من المراجع الهامة في التاريخ الاسلامي أيام عمر بن الخطاب ، وخاصة الجزء الثاني عن فتح مصر ، فترى في هذا الكتاب القيم صورة حية صادقة ، بأسلوب

ممتع ، استعراضا تاريخيا حافلا ، يتدرج الواقدي فيه من مرحلة الى أخرى مع بيان أسبابها الدفينة ، ويقبع ذلك برأيه الخاص في هذه المرحلة ، ثم ينتقل الى مرحلة أخرى قد تتعارض أسبابها مع ما سبقها من المراحل ، إلا أنه بكفايته ولباقته يضمنها رأيه الصريح ، وينفى عنها الظنون والملاسات التي لا تنفق والحقيقة التاريخية . وهكذا يتمشى في هذا التدرج مع مناقشة الوقائع ، الى أن يصل الى النتيجة النهائية ، فاذا نحن أمام رأى سليم ناضج أبدنه المعرفة وأحكته تجارب السنين . .

ذكر الأستاذ الكبير « بتلر » في مقدمة كتابه « فتح مصر أيام عمرو بن العاص » وفي عهد الفاروق ، أنه على الرغم من مكانة الواقدي التاريخية فإن كتبه عن فتوحات العرب وغزواتها في مصر والشام ، ضاعت ، وأن ما نقرأه الآن من كتب الواقدي ليس من وضعه وإنما من صنع الرواة . أتى الأستاذ بتلر بهذا الكلام من غير دليل معقول يمكن الاستشهاد به أو الرجوع اليه ، ولهذا لا يصح الاعتماد عليه .

شخصية الواقدي :

يقول كارليل في كتابه عن الأبطال : إن التاريخ العام عبارة عن تاريخ الأبطال المكيفين للأمر . ولهذا يحار الباحث المحقق في تحديد معنى البطولة ، أو تفسير الشخصية الكبيرة ، لأن الوصول الى بواطن النفس والوقوف على أسرار دوائها من أعقد المسائل التي لا زال العلم يماثلها ، ويقف منها موقف التردد والظن . فهناك فريق من العلماء يعتبر شخصية العظيم وما تتركه من أثر في البيئة الاجتماعية سراً من الأسرار ، وفريق آخر ينظر الى هذه الشخصية من ناحية التطورات التي أحاطت بها ، ومدى انفعال هذه التطورات في تقسية العظيم واستمداده الطبيعي للقابلية والتفاعلية ، وهذا الفريق الثاني يعتبر الشخصية في هذه الحال من نتائج الطبع الاستثنائي .

والواقدي شخصية جليلة المقام لم يتطرق إليها البحث العلمي الى اليوم ، إلا أنه على الرغم من ذلك فإننا إذا ما بحثنا في طوايا هذه الشخصية ، نجد أننا أمام حياة عامرة بالآيمان ، مشبعة بروح الاخلاص للدين والاسلام .

وقد صحب التوفيق الواقدي في حياته الطويلة المباركة ، فأخرج للعالم الاسلامي كتباً قيمة لا تزال من مراجع البحث التاريخي . وكان في بعض تواليه يستقرى دقات النفس البشرية ، ويستجلى غوامضها ، ويحاول أن يفهم صفاتها وخصائصها . .

وكان يذئج إجابة لداعى النفس ويستجيب وحبها ، بحركة إصابة الغرض أكثر مما تحركه المادة . هذا مع ما كان يتميز به من الخلق القويم وقوة اليقين .

الفهرس العام

السنة الرابعة عشرة (١٣٦٢ هـ) سنة مجلة الأزهر

الرقم	الموضوع	المؤلف
	(أ)	
١٠٦٠٦١٠١٤	ابن رشد	حضرة الاستاذ الدكتور محمد غلاب
٥٢٥٠١٨٨٠٨٦	ابن سنان الخفاجي	» » محمد كامل الفقي
١	احتفال الأزهر بالعام الهجري	
٥٦	احتفال الأزهر بعيد الميلاد الملكي	
٢٣٩	احتفال الأزهر بعيد الجلوس الملكي	
١٢٥	الامام أحمد الغزالي	حضرة الأستاذ علي سامي النشار
٣٨٩	أخلاق	حضرة صاحب الغزوة عبد السلام محمود بك
٣٦٦٠٣٠٩٠٢٥٧ ٤٧٨٠٤٢١	إخوان الصفاء	» » الأستاذ الدكتور محمد غلاب
٤٧٥	أدب الدماء - السنة	فضيلة الأستاذ الشيخ طه الساكت
٥٩	أدلة القرآن	» » يوسف الدجوي
٥٤	الإسلام والعلم توأمان	حضرة الأستاذ مدير المجلة
١٦٨	الأموال العامة	حضرة الأستاذ أحمد محمود الصاوي
٩٠	الأهلية	» » مصطفى أبو زيد
	(ب)	
١١٣	براهين على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي
٢٠٠٠٢٣١٠٤٤ ٥٢٢	بلاغة عبد القاهر	» » رياض هلال
	(ت)	
٢٨٥	تحديد الفل	حضرة الأستاذ عبد فتح الله الشيخ

صفحة	بفـم	الموضوع
		(ش)
٣٤٢	لجنة الفتوى	شركة الماشية
٢٦٨	فضيلة الأستاذ سليمان الأفاقي	الشعر المصري في عهد المماليك
١٢٥	» أحمد الشرباصي	شواهد الايمان
		(ص)
١٨١، ١٣٤	فضيلة الأستاذ الشيخ طه الماكت	صدفته صلى الله عليه وسلم في النوراة
٣٤١	لجنة الفتوى	الصلاة - عقاب تاركها
		(ع)
٤٠٧	فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي	عرس في بيت النبوة
٣٢٥	» طه الماكت	عزة الكمال في الناس
٦٢	» عبد العزيز السيد موسى	عظمة الله في خلق السموات والأرض
١١٣، ٤٤	حضرة الأستاذ مدير المجلة	العقل الباطن - خصائصه
٤٠٣، ١٩٩، ١١٧	فضيلة الأستاذ حسن حسين	علوم القرآن
٢٠٢، ١٥٩	حضرة الأستاذ علي سامي النشار	عمل سقراط الفلسفي
١٧٩، ١٧٤، ١٢٩	...	عيد الجلوس الملكي - احتفال الأزهره
		(غ)
٥١، ٤٩	حضرتي الأستاذين علي سامي ومدير المجلة	الغوصية
		(ف)
٣	حضرة الأستاذ مدير المجلة	فاتحة السنة الخامسة عشرة
٦٩	فضيلة الأستاذ الشيخ طه الماكت	الفرار من الفتن
١٩	حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب	فلسفة ابن سينا العملية
		(ق)
٣٦٥، ١٠٩	فضيلة الأستاذ عبد السلام سرحان	قدامة بن جعفر
٢٥٧، ٢٠٦، ١٦٧	» محمد علي النجار	القلب في العربية
٣٥٧، ٣٠٣		

الموضوع	بقلم	صفحة
(ل)		
لا هجرة بعد الفتح — الحديث ...	فضيلة الأستاذ الشيخ طه الساكت	١٦
(م)		
مالك بن الرب ...	فضيلة الأستاذ علي محمد حسن	٤١٤، ٢٢٠
الأستاذ الإمام محمد عبده ...	حضرة الأستاذ الدكتور عثمان أمين	٣٤٤، ٢٤٦، ٣٠
المدخل الى دراسة الفلسفة الإسلامية ...	فضيلة الأستاذ محمد يوسف موسى	١٤١، ٧٩، ٢٢ ٢٨٦، ٢٣٨، ١٨٧ ٤٣٨، ٣٨٩، ٣٣٣ ٤٨٢
المسلمون والمنهج التاريخي الحديث ...	حضرة الأستاذ علي سامي الفشار	٢٤٦، ٣٥٣، ٣٠٧
المشكلة الفلسفية — التأليه العقلي ...	الدكتور محمد غلاب	١٨٤، ١٣٧، ٧٢ ٣٢٩، ٢٨٢، ٢٣٥ ٤٧٩، ٤٣٢
المكتبة الأزهرية — كلية تاريخية ...	فضيلة الأستاذ أبو الوفا المراغي	٤١
مناهل العرفان رد وتعليق ...	حضرتي الأستاذين الرزقاني ومدير المجلة	٣١٥، ٣١٣، ٢٢٤
منهج النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة ...	فضيلة الأستاذ طه الساكت	٣٨١
(ن)		
النحت في كلام العرب ...	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد النجار	٤٩٨، ٤٥٣، ٣٩٨
نظرة في تاريخ الإسلام ...	» حسين المصري	٥٤
نظرية المعرفة عند ابن سينا ...	حضرة الدكتور أحمد فؤاد الأهراني	٣٣
نظرية المعرفة عند الفارابي ...	» » » »	٢٥٠، ١٩٦، ٨٤
نظرية العقل عند الفارابي ...	» » » »	١٥٥
نقد النثر ...	» حسن جاد حسن	١٧١
(و)		
الواقدي ...	حضرة الأستاذ عبد الحميد سامي	٥٠٦
وثيقة — الطلاق ...	لجنة الفتوى	٢٩٤

العدد	الموضوع	الصفحة
٣٦٣	النماون والاشتراكية	٣٦٣
١٤٩	تعليم اللغة العربية — لماذا أخفقنا فيه ...	١٤٩
١٣	تفسير سورة التكاثر	١٣
٢٣٠	تفسير سورة الهمزة	٢٣٠
١٠٠	تقاليدنا بين الماضي والحاضر	١٠٠
	(ث)	
٣٤٩	الثقافات المختلفة قبل الإسلام	٣٤٩
	(ج)	
٢١٣، ٩٢	الجاحظ والبيان العربي	٢١٣، ٩٢
	(ح)	
٣٧	الحجاج بن يوسف الثقفي	٣٧
	(خ)	
١٢٥، ٧٥، ٢٦ ٢٩٠، ٢٤٢، ١٩١ ٤٣٥، ٣٨٥، ٣٣٧ ٤٨٥	خالد بن الوليد	١٢٥، ٧٥، ٢٦ ٢٩٠، ٢٤٢، ١٩١ ٤٣٥، ٣٨٥، ٣٣٧ ٤٨٥
	(د)	
٤٦٥، ٤١٧، ٣٦٩ ٤٥٧، ٢١٠ ٢٦٥	الدروس الدينية دفاع عن علماء البلاغة دلالة الكائنات على وجود الخالق	٤٦٥، ٤١٧، ٣٦٩ ٤٥٧، ٢١٠ ٢٦٥
	(ز)	
٣٤٣ ٤٢٨	زراعة المقطوعية وزراعة المواد النافعة ... الزواج بذات الدين	٣٤٣ ٤٢٨
	(س)	
١٧٧، ١٣٠، ٦٥، ٥٠ ٣٢١، ٢٧٣، ٢٢٥ ٤٧١، ٤٢٤، ٣٧٧	السيرة الحمديدية تحت ضوء العلم والفلسفة ... حضرة الأستاذ مدير المجلة	١٧٧، ١٣٠، ٦٥، ٥٠ ٣٢١، ٢٧٣، ٢٢٥ ٤٧١، ٤٢٤، ٣٧٧

السنة الخامسة عشرة (١٣٦٣ هـ) من مجلة الزهر

الموضوع	بمعلم	الصفحة
(أ)		
ابن سنان الخفاجي وسر الفصاحة ...	فضيلة الأستاذ محمد كامل الفقي	١٢١ ، ٤٦١
أبو الحسن الماوردي ...	حضرة الأستاذ عبد الحميد سامي	١٦٥
أبو السلام أزد ...	الدكتور محمد ولي خان	٣٦٠
الاتباع ...	فضيلة الأستاذ محمد علي النجار	٨٨
اجتماع الانبياء على دين واحد ...	طه الساكت	٢٣٢
اختلاف الصحابة -- مثل منه ...	" "	٢٧٨
الأدب -- أطواره ودراسه ...	سليمان الألفاني	٥٠٣ ، ٤١١
الأشاعرة والمنطق الارسطي ...	محمد يوسف الشيخ	٢٩٩ ، ٢٥٣ ، ٩٧
إعجاز القرآن للباقلاني ...	يوسف البيوي	٢٦١ ، ٥٨
اقتصاد -- بحوث في مسائله ...	حضرة الأستاذ أحمد الصاوي	٢١٨
التماس رضا الله -- السنة ...	فضيلة الأستاذ الشيخ طه الساكت	٤٧٦
الامبراطور الفيلسوف ...	حضرة الأستاذ الدكتور عثمان أمين	٤٩٥
أراج المعكر الاسلامي ...	" "	٢٩٥ ، ٤٢٤ ، ٣٩٤ ، ٤٨٨
(ب)		
البواكير الاولى للحركة العقلية في الاسلام	حضرة الأستاذ علي سامي الفشار	١٠٣
بين الدين والفلسفة ...	سميد زايد	١١٦ ، ٤٣١ ، ٤٤٠ ، ٥٠٠
(ت)		
التجني على النحلة ...	فضيلة الأستاذ عبد الحميد عنتر	١٠٧
تحقيق وبحث ...	محمد أبو شهبه	٣٦٨
التصوف -- بحوث ...	محمد يوسف الشيخ	٤٩٢